وزارة الثقافة

الأشباح الحمر

تأليف: كامل نعمة

جميع الحقوق محفوظة

رقمنة

وزارة الثقافة
Ministry of Culture

الأشباح الحُمر

الرِّواية البوليسية العربيَّة الأولى

تأليف: كامل نعمة

صدرت الطَّبعة الأولى عام ١٩٤٧
عن المطبعة العربية في حيفا

وزارة الثقافة الفلسطينية
سلسلة الموروث الثقافي
اسم المؤلف:كامل نعمة
اسم الكتاب: الأشباح الحُمر
الطبعة الأولى: ١٩٤٧ عن المطبعة العربية في حيفا

الإشراف العام: عبد السَّلام عطاري
مراجعة وتدقيق: رشيد عِناية - نور عرفات
تصميم الغلاف: فاطمة حسين
لوحة الغلاف للفنانة: صوفي حلبي

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعمال المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذنٍ مسبق من الناشر.

All rights are reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without prior permission of the publisher.

فلسطين
www.moc.pna.ps

الأشباحُ الحُمر

تقديم

سيادة الرَّئيس محمود عبَّاس «أبو مازن»

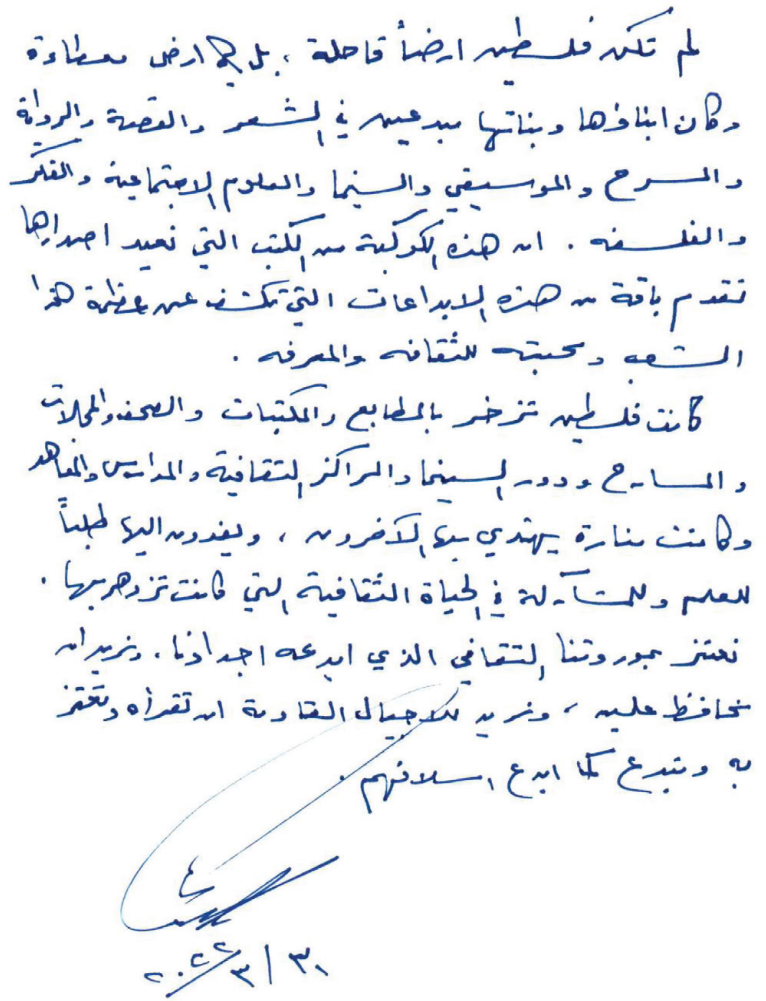
لم تكن فلسطين ارضاً قاحلة ، بل كانت ارض عطاء
وكان ابناؤها وبناتها سبّاقين في الشعر والقصة والرواية
والمسرح والموسيقى والسينما والعلوم الاجتماعية والفكر
والفلسفة . انه لهذا الكوكبة من الكتب التي نعيد اصدارها
تقدم باقة من هذه الابداعات التي تكشف عن عظمة هذا
الشعب وحبه للثقافة والمعرفة .

كانت فلسطين تزخر بالمطابع والمكتبات والصحف والمجلات
والمسارح ودور السينما والمراكز الثقافية والمدارس والمعاهد
وكانت منارة يهتدي بها الكثيرون ، ويفدون اليها طلباً
للعلم والمعرفة في الحياة الثقافية التي كانت تزدهر بها .
نعتز بجذورنا الثقافي الذي ابدعه اجدادنا . ونريد ان
نحافظ عليه ، ونريد لاجيالنا القادمة ان تقرأه وتعتز
به وتبدع كما ابدع اسلافهم .

٢٠٠٤/٣/٣٠

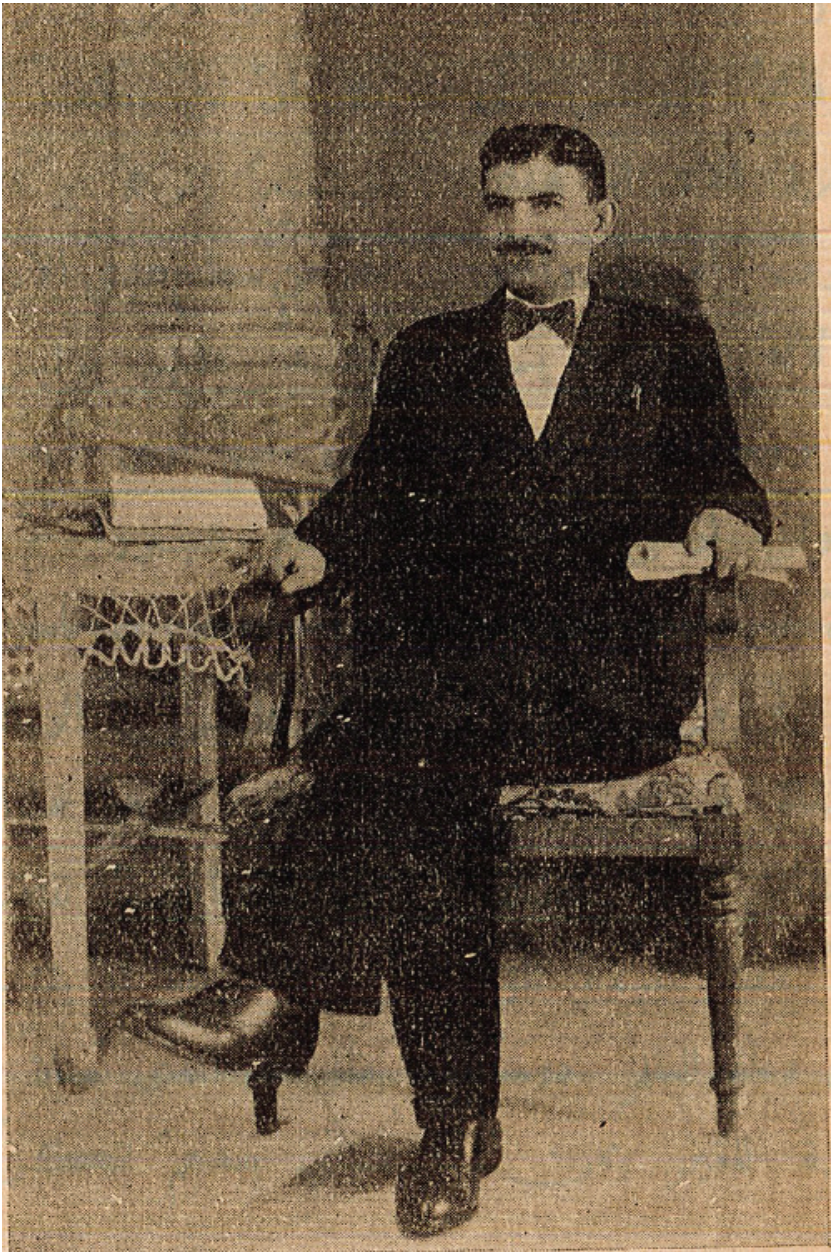

المؤلِّف: كامل نعمة من حيفا

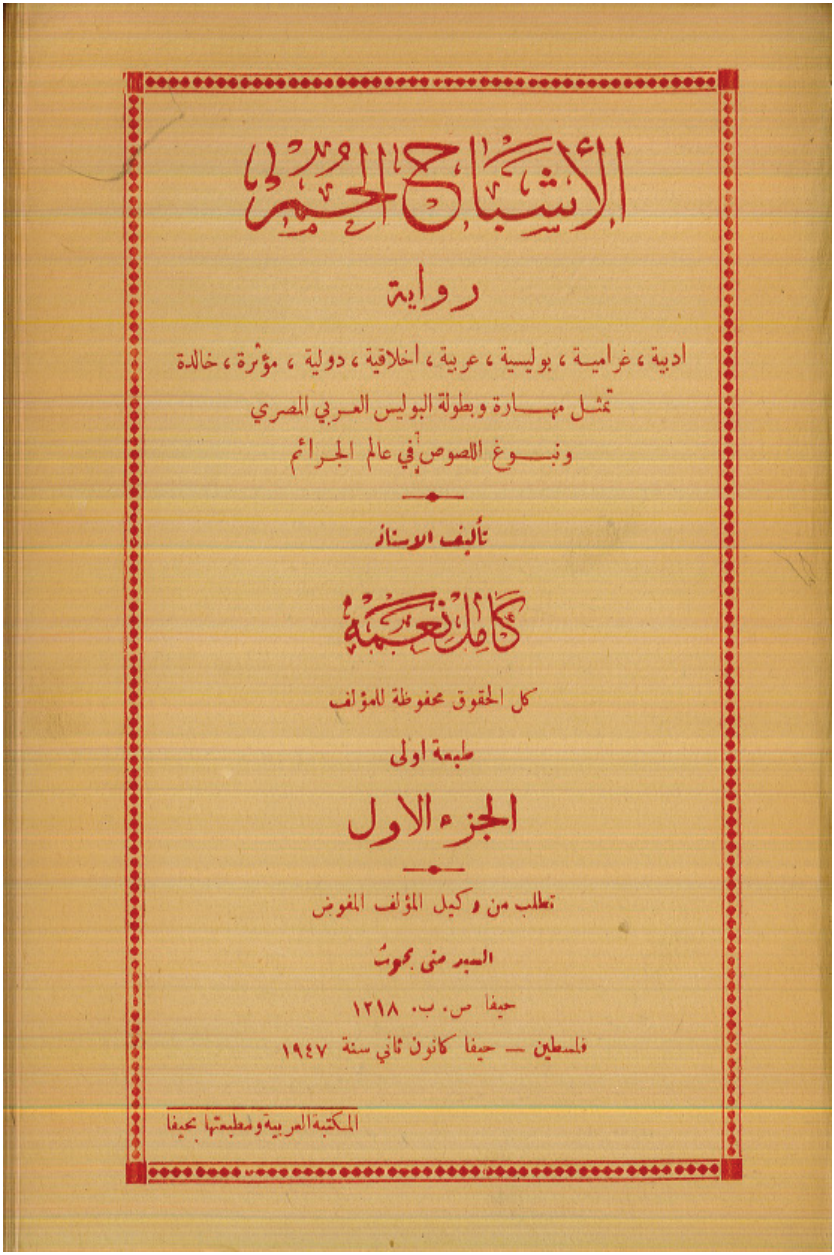

غلاف النُّسخة الأصليَّة

كلمة المؤلِّف

لما رأيت أن روايتي الأولى (القضاء والقدر) قد صادفت رواجا واستحسانا من القراء الكرام، قمت بتأليف هذه الرواية البوليسية وهي تتناول قطرا عربيا، وسميتها (الأشباح الحمر) أمثل التمثيل كله المسؤولية الملقاة على عاتق أولياء الأمر ومشاركتهم للأمة أتراحها وأفراحها سراءها وضراءها وكم يتعرض رجل البوليس للمخاطر والعقبات في سبيل الذود عن الإنسانية المعذبة التي تئن وتتوجع.

وثقت بعد التمحيص والتدقيق بأن الاقبال على مطالعة الروايات يزيد عن المألوف، كأن بالروايات تسلية تزيل الهم واليأس والمال عن صدر القارئ إذا صادفه نوع من السآمة والضجر والقنوط، وبما أن أكثر الروايات البوليسية تتناول براعة ومهارة وبطولة البوليس الأجنبي فقد درست الموقف بكل دقة، وترامى لي أن أقوم بوصف جدارة البوليس العربي الصنان الذي لا يقل عبقرية ونبوغا وبطولة عن غيره من بوليس العالم المتمدن، مع كون العربي حاضر البديهة متوقد الذهن سريع الاقتباس يضاهي بالنزاهة والجدارة والقيام بمهمته وإجادة دوره كل بوليس عالمي آخر بليت وعرد.

إن التأليف مهما كان نوعه والروائي منه على الأخص مهمة شاقة وعرة الحقول شائكة المسالك وللوحي الفضل الأكبر لكل مؤلف روائي، ولذلك فقد خصصت وقتي للتأليف على أن يكون ضمن نطاق الأدب ومحصورة في كل ما هو عربي، لخدمة المثل العليا والقيام بالواجب المحتم على

كل ناطـق بالضـاد نحـو وطنـه المفـدى ومـا يتطلبـه هـذا الوطـن العزيـز مـن تضحيـات وإخـلاص، والهـدف المنشـود هـو تعميـم لغتنـا العربيـة المحبوبـة وتعزيزهـا بـكل مـا لدينـا مـن قـوى ونـشر الفضائـل العربيـة وبـذل المسـتحيل في سـبيل العلـم والأدب.

حيفا - فلسـطين شـهر كانون الثاني سنة ١٩٤٧م.

كامل نعمة

كلمة موجزة

إن هـذه الروايـة (الأشـباح الحمـر) هـي الثانيـة مـن تأليـف صديقـي الحميم الأسـتاذ كامـل نعمـة، وسـيجد القـراء الكـرام لـذة عظيمـة لا تضارعهـا لـذة أخـرى بعـد قراءتهـا والدليـل الوحيـد الـذي أتـذرع بـه بهـذا القـول هـي أنهـا تمثـل البلاغـة والحنكـة اللتـين يتحـلى بهـما البوليـس العـربي في كل قطـر مـن أقطـار المعمـورة.

كنـت مولعـا بقـراءة الروايـات وخصوصـا البوليسـية منهـا، والغريـب في الأمـر أني قـد قـرأت عـن ملتـون وريـدر وسـنكلر وهوملـز وغيرهـم مـن أبطـال البوليـس ولم أقـرأ روايـة واحـدة بطلهـا بوليـس عـربي، في حـين أن العـربي لا يقـل عـن سـواه بالعبقريـة والبطولـة والنزاهـة، ولم يقـم مؤلـف عـربي بتأليـف روايـة عربيـة بوليسـية مثـل البوليـس العـربي ونبوغـه وشـجاعته، حتـى أن شركات السـينما العربيـة لم تعـتن بأمـر كهـذا مـع أنـه جوهـري، ولم تكلـف مؤلفـا عربيـا بتأليـف روايـة بوليسـية عربيـة، مـع أن الإقبـال عـلى الروايـات البوليسـية قـد فـاق كل إقبـال.

ولذلـك طلبـت مـن صديقـي الأسـتاذ المؤلـف والشـاعر المطبـوع أن يقـوم بهـذا الـدور ووعـدني ولي ثقـة تامـة بوعـده والـبر بـه متـى وعـد، ولمـا انتهـى مـن تأليـف هـذه الروايـة (الأشـباح الحمـر) غمـرني السـرور لمواقفهـا الرائعـة وأسـلوبها الشـيق ولغتهـا السلسـة، ومـما لا شـك فيـه أنهـا سـتهز الأمصـار والأقطـار العبقريـة وبطولـة رجـال البوليـس العـربي ولتفنـن المجرمـين بأعمالهـم وجرائمهـم بـل سـتصبح تحفـة لمـا فيهـا مـن مغـاز وعـبر

ومدهشات، إنها تفوق الروايات الأجنبية مواضيعها المبتكرة بل آية من آيات التأليف والفن الحديث، وأنا مطمئن جد الاطمئنان بأنها الرواية الأولى (البوليسية العربية) من نوعها، فشكرت الأستاذ زميلي بالتلمذة، ومما هو جدير بالذكر أنه انتخب القطر المصري مسرحا لروايته باعتبار أن مصر دولة عربية عظمى ذات ثقافة وحضارة.

وإذا كانت رواية المؤلف الأولى (القضاء والقدر) وهي تتناول معارك المارن الكبرى بين الفرنسيين والألمانيين، قد نالت ثناء الجمهور الكريم، فإن هذه الرواية (الأشباح الحمر) سيعشقها القراء الكرام لأنها جمعت بطولة البوليس العربي والأدب، والحب، والإنسانية والحضارة الحقيقية ودهاء اللصوص.

ثم إن صديق المؤلف وجد صعوبة كلية بانتقاء الأسماء العربية، ونزولا على رغبة العموم وإلحاحهم الإلحاح الجم قد عملنا على تجزئتها إلى ١٢ جزءا رحمة بالقارئ حتى يتمكن الجميع من الحصول عليها، وقد حاولت مرتين في منتصف عام ١٩٤١ أن أقوم بطبعها ولكن لعدم الحصول على الورق يومذاك ما حال دون أمنيتي أو لأن الأقدار شاءت أن تظهر في هذا الآن.

إن هدفنا هو رفع المستوى الخلقي والأدبي وقد وضعنا نصب عيوننا خدمة العلم والأدب بكل ما لدينا من قوى وأن نستميت وراء ضالتنا المنشودة ولو أدى بنا الأمر إلى الانهيار الكلي، فإن ما نقوم به هو

عمـل جليـل إنسـاني أكـثر منـه مـادي، وكل ذلـك خدمـة للإنسـانية والناطقـين بالضـاد والسـلام.

منى بحوث

وكيل المؤلف المفوض

فلسـطين حيفا في كانون ثاني سـنة ١٩٤٧ م

العلم والعرب

هيـا إلى العلم هيا أيها العرب

فمنكم الجود والاخلاق والأدبُ

العلم جوهرة والكل ينشـدها

والجهـل جرثومة في نابها العطبُ

من هـام بالجهل عض الكف معترفا

ويسـتحي إذ يرى فذا أو يكتئبُ

الدين والعمل كالروحين في جسـد

عليهما دلت الأسـفار والكتبُ

أجدادنا سـبقوا الأقوام واحتكروا

كل العلـوم وأكتاف العلى ركبوا

ودوَّخوا الأرض والآفاق قاطبة

يزينهم حليتان الدين والحسـبُ

ومـن حضارتهم بل من مآثرهم

العدل والنبل والآداب والنسـبُ

المجد والعز والأجيال شـاهدة

الفقـه والجفر ثم الطب والرتبُ

مجـدا تليدا بنوا بالعلم فاعتبروا

فإنمـا العمل في ادراكه الأربُ

أسلافكم فتوحاتهم نطقت

بهـا التواريخ والمعمور والحقبُ

لولا الخطوب لسـدنا الناس كلّهم

تعنـو لنا منهمُ الهامات والركبُ

والغرب يشـهد أن العرب مفخرةٌ

للعالمين ويروي الأفق والشـهبُ

شـعار حب واخلاص قد اتخذوا

ومنهم نشـأ الأبطال والنجبُ

في الهند والسـند ثم الصين قد وضعوا

أقدامهـم وبها أعلامهم نصبوا

غـزوا الممالك واجتاحوا معالمها

واللـه قائدهم والدين مرتقبُ

اللـه بأسٌ لهم من ذكره أبدا

كانـت قلوب ملوك الأرض تضطربُ

يـا فخرنا إننا أحفادهم وإلى

أولئك العرب والأجداد ننتسـبُ

فخلدوا ذكرهم وامشـوا بإثرهم

مهـما تثرْ نُوَبٌ إن العلى تعبُ

ويا شـباب الحمى كونوا ضراغمة

في أرضكم يعلو فيها الاسـم واللقبُ

أنتـم رجالنا وفيكم عز موطننا

هبّـوا إلى العلم هبّوا أيها العربُ

نظـم المؤلف: كامل نعمة

حيفا - فلسـطين شـهر كانون ثاني سنة ١٩٤٧

مقدِّمة الرِّواية

مقدمـةُ الروايـة عـن لصـوص وبوليس حوى شرفا وفخرا

عصائـب مـن رعـاع القـوم عاثـوا فسادا في بلادهم وشرا

ترى منهم شـبحٌ زنيمٌ ففـر الناس من مرآه ذعرا

جهنم أرسـلته وقد كسـته ثياب شـقائها سودا وحمرا

يجـولُ موزعـا رعبـا وهـولا فيسـلبُ مرة ويصول أخرى

ويذبـح ذا ويـصرع ذا ويـودي بتلك ورسـله ضاهوهُ نكرا

قد أنسـوا بكل حمى وصقعٍ له يحيون فيه اسـما وذكرا

عُتاة بل شـياطين طُغاةٌ قـد اتخذوا بعالمنا المقرا

فلـم يرثـوا الأطفـال صغـارٍ ولا لأرامل يَنحَبنَ سرا

فضـج النـاس مـن ألمٍ وظلـمٍ وضيم يوقد الأحشـاء جمرا

لقـد كـثرت ضحاياهـم وزادوا بمـا ألفوه تقتيلا وجورا

أباحت تلكم الأشـباح منهم دمـاء الأبرياء في الأرض طرّا

يتامـى يذرفـون الدمـع حزنـا على آبائهم فتسـيل نهرا

وشـعبٌ آمنٌ قد لوّعوه لمـا عبثوا به فتكا وغدرا

كـم اغتالـو ا وأردوا مـن عبـادٍ وكـم قد ذبحوا سرا وجهرا

وكم سـفكوا دما وطغوا وصالوا وهـم من كاسرات البرّ أضرى

وهبَّـت مـن رجـال العـدل تغـلي حميـاتٌ ونار الغيظ حَرَّى

وصالوا كالأسـود على لصوص رعاعٍ أرديا كرّا وفرا

كفـاحٌ بـين قانـون ولـصٍ جرى متفاقما عاما وشـهرا

عراكٌ دارَ بينهن سـجالا بعهـد قد مضى يسرا وعسرا

ولكـن قائـد البوليـس آلى على أن لن يكفَّ ويسـتقرّا

يطـارد زمـرة الأشرار هـذي ويتبـع إثرهم براّ وبحرا

وقال لسـوفَ أفنيهم وأمحو لهم عن سـطح هذي الأرض ذكرا

إذا شـاء الإله فعن قريبٍ يشـدُّ علمهم بوليس مِصرا

وأعـواني يرومـونَ انتقامـا ولي منهـم أرى أَيدا وأزْرا

أُناوئهم ولن أرضى سـلاما أُجالدهم شهورا ثم دهرا

أنـا القانـون لـن أرضى بصلـحٍ إلى أن أحـرِزَنْ بالحرب نصرا

وأثـأر للرعيـةِ مـن رعـاعٍ أذاقوها من الويلات مرّا

وأتـرك للطغاةِ قويـمَ درسٍ وأقصفُ عمرهم خمسـا وعشرا

حبال مشـانق لهم تدلتْ عـلى أعناقهم تلتفُّ قسرا

كـذا بوليـس مـصر يـرومُ ثـأرا من الأشـباح إذ يقتصُّ فورا

ليجعل من دعاة الظلم درسـا يظـل إلى المدى مثلا وذكرى

ليبقـوا عـبرة للغـير ممـن سـيأتي بعدهم نكرا وفجرا

نظـم المؤلِّف: كامل نعمة

حيفا - فلسـطين كانون ثاني سنة ١٩٤٧

الفصل الأوَّل
الوردة اليانعة

عـلى بـاب منـزل فخيـم ناطـح السـحاب بارتفاعـه الشـاهق بشـارع فـؤاد الأول في مدينـة القاهـرة عاصمـة القطـر المـصري، كانـت تقـف صبيـة تناهـز الخامسـة والثلاثـين عامـا، ولكنهـا آيـة مـن آيـات الجـمال وبـدر مـن بـدور السـماء بتكوينهـا النـادر وتنسـيقها الممتـاز كأنهـا السـعوة ناصعـة البيـاض جذابـة المحيـا ذات عينـين عسـليتين تسـلبان الألبـاب منهـا يشـع بريـق الـذكاء الخـارق وشـعر أشـقر مـع جمـة تفيـض بالنـور السـاطع لهـا ثغـر طـاغ يقصـم أشـد الظهـور صلابـة، بينـما المركبـات تمـر بسرعـة الـبرق الخاطـف فيقـف الناظـر كالمشـدوه لتلـك المناظـر الخلابـة، فـإن ذاك الشـارع قـد ضرب الرقـم القيـاسي بالنظافـة والأناقـة وعـلى جانبيـه يقـوم رصيفـان يمتـدان والسـابلة تسـير بـكل هـدوء وترتيـب فـلا معكـر ولا مشـوش، والغـادة لاهيـة ممتعـة الطـرف بالمـلأ تتسـلى بمشـاهدة الغادين والرائحـين مرهفـة الآذان لـدوي محـركات السـيارات الضئيـل معجبـة منذهلـة منتقـدة هـذا وذاك كحـال مـن يكـون بموقفهـا، وفيـما هـي واقفـة كـما وصفنـا مسـمرة تتفـرس جامـدة حانـت منهـا التفاتـة إلى بعيـد فأبـصرت ولـدا متجهـا نحوهـا فتهلـل وجههـا الصبـوح وزاد شـعاعا وفتنـة وعلتـه أسـارير الفـرح والحبـور ومـا لبثـت أن دمدمـت وقالـت - هـا لقـد أقبـل فلـذة كبـدي كـمال - ومـا هـي إلا دقائـق معـدودة حتـى وصـل الولـد فعاجلتـه أمـه بقولهـا.

- أهـلا أهـلا كـمال لقـد هيـأت لـك الغـداء يـا بنـي لمـاذا عـدت متأخـرا مـن المدرسـة؟

صافـح الولد أمه التي طبعت قبلة أمومية على رأسـه فأجابها:

- إن السـاعة الواحـدة الآن ولم أعـد متأخـرا يـا أمـاه، لمـاذا أنـت تقفـين ههنـا عسـاك تنتظريـن والـدي؟

- إنـه تأخـر عـن موعـد الغـداء حسـنا يـا بنـي اصعـد وتنـاول طعامـك حتـى لا يفوتـك وقـت الـدرس.

تـرك الولـد أمـه وارتقـى سـلما حجريـا أفـضى بـه إلى ردهـة رحبـة فعلـق قبعتـه عـلى المشـجب ثـم تصـدر المائـدة حيـث كان الخـدم قـد أعـدوا الطعـام وجهـزوه وبعدمـا انتهـى مـن تنـاول الغـذاء أخـذ قبعتـه وعـاد يـودع أمـه التـي مـا زالـت في مكانهـا تنتظـر، عائـدا أدراجـه إلى المدرسـة. وبعـد مـا تـوارى عـن أنظارهـا ترقرقـت الدمـوع في عينيهـا وقالـت - يـا رب احرسـه لي إنـه أمـلي في هـذه الدنيـا إنـه ولـدي الوحيـد إنـه فلـذة كبـدي ولا عـزاء لي سـواه.

ظلـت الصبيـة متكئـة عـلى ضلفـة البـاب المفتـوح الداخليـة معللـة النفـس مـن قـدوم قرينهـا، ومـر الوقـت سراعـا وهـي لا تشـعر بـه لعظـم أملهـا ورجائهـا بوفـود رفيـق عمرهـا وحياتهـا حتـى بـدت أمـارات الضجـر والسـآمة تكسـو محياهـا النضـير الفتـان، ولمـا أبرمهـا الملـل قالـت بصـوت خافـت - مـا عسـاه يصنـع، لقـد زاد تأخـره عـن الحـد المألـوف أي متـى

العـودة ألا يعلـم أننـي بانتظـاره عـلى أحـرّ مـن الجمـر... سأوسـعه تأنيبـا وتقريعـا متـى عـاد. هـل بـدأ ينفـذ برنامجـا جديـدا في حياتـه الزوجيـة، لم يكـن مـن عاداتـه كل هـذا الإبطـاء.

ومـا كادت تنتهـي مـن لفظاتهـا الأخـيرة حتـى وقفـت سـيارة أمـام الرصيـف وهبـط منهـا رجـلان، فعـلا وجههـا الاحمـرار فابتسـمت ابتسـامة الفـوز والنـصر لأحدهـما وكان ربـع القامـة بخـلاف صاحبـه الممشـوق القـد الرشـيق القـوام الطويـل القامـة.

تقدمـا منهـا وطرحـا التحيـة فقالـت للمربـوع باسـمه وهـي كالوفيـة السـاطعة.

- جـمال لقـد انتظرتـك طويـلا لم كل هـذا التأخـر عسـاك تعمـدت هـذا الأمـر، سـتثير حفيظتـي وترغمنـي عـلى أن أقسـو وأحتـج وألومـك.

ضحـك القادمـان فقـال الرجـل الغريـب... يـا سـيدتي لقـد دعـاني جـمال باشـا، إلى مشـاركته تنـاول الغـذاء وأنـا الملـوم فعـذرا إذا ...

- أمـا أنـت يـا فريـد بـك فـلا تسـتحق اللـوم والعتـاب فقـد صفحـت. هلـم عـلى الرحـب والسـعة أهـلا وسـهلا. - قهقـه الثلاثـة ضاحكـين وارتقـوا الـدرج، وكان زوجهـا جـمال يسـير بأقـدام ثابتـة متأنـق اللبـاس يتمتـع بالزهـو والخيـلاء والغطرفـة وظهـر بـكل جـلاء عـلى أنـه بـارز الشـخصية مـن

أهـل السـمة والوجاهـة والجـاه العريـض، فأمـوا الردهـة الرحبـة وبعدمـا اسـتقر بهـم الجلـوس قـال جـمال زوجهـا:

- نسـيت أن أنبئـك يـا وداد إن صديقنـا فريـد بـك قـد نـال مـا كان يطمـح إليـه مـن مجـد أثيـل فقـد أسـندت إليـه مـن نهـار البارحـة وظيفـة مديـر البوليـس الـسري في القاهـرة...

وقفـت صاحبـة البيـت وصافحـت الصديـق مصافحـة وديـة بـكل حـرارة وقالـت:

- إني أهنئكـم بهـذا المنصـب الأثيـل يـا فريـد بـك فـإن نهـاد خليلتكـم قـد عمّهـا الفـرح وشـملها الحبـور بـلا مـراء لـدى وثوقهـا مـن أن زوجهـا البـك قـد حـاز عـلى مركـز سـام بعـد نضـال مُـر اسـتغرق بضعـة أعـوام.

- بـدون شـك يـا مـدام وهـاب فـإن نهـاد تتأهـب لمـد وليمـة وسـيكون حضراتكـم أول المدعويـن.

وضحـك الثلاثـة ضحكـة عاليـة في آن واحـد فقـال جـمال باشـا وهـاب رب البيـت.

- كـم سررت يـا فريـد بـك لحصولـك عـلى مثـل هـذه الدرجـة فقـد اجتاحني الـسرور كأني أنـا نفـسي الـذي يتبـوأ هـذا العـرش، لقـد صرت بـدا بعـد الآن يـا صـاح وعـلى أثـر ضحكهـم قـال فريـد بـك فـواز مديـر البوليـس.

- بـدون شـك سـتسر لـسروري وتحـزن لحـزني فـإن تاريـخ صداقتنـا تـؤول إلى هبـد الدراسـة والتلمـذة وأنـت يـا باشـا أول مـن تقدمـت إليـه أزف هـذه

البـشرى - فقالـت وداد وهـي تتمايـل بجسـمها البـض وترمقهـا بنظراتهـا المغريـة التـي تسـبي الألبـاب تومـئ ملوحـة بسـبابتها مؤنبـة:

- هـل أعلمـت صديقك أبا كـمال قبل أن تنبئ المدام يا فريد بك؟

- لا واللـه إن المـدام قـد حملـت إليـه النبـأ حـين وصولـه أمـا صديقـي جـمال باشـا فـكان الشـخص الثـاني الـذي علـم بالأمـر.

وقهقـه الجميـع ضاحكـين بصـوت عـالٍ مرتفـع، وكان الخـدم قـد أعـدوا الطعـام فنهضـوا يلتفـون حـول المائـدة، وفي أثنـاء تناولهـم الطعـام قالـت وداد باسـمة:

- يـا فريـد بـك إن لي بكـم وطيـد الأمـل بمنـاصرة زوجـي إذا مـا اقـترف جريمـة ووقـع بـين براثـن الحكومـة. فأجابهـا ضاحـكا:

- لا سـمح اللـه أن يقـدر لـه ويتنـاول القانـون بـين يديـه، إن جـمال باشـا لا يقـدم عـلى أمـر كهـذا ولا يندحـر إلى درك رزيء.

- أنـا أعنـي فيـما لـو كتـب لـه النصيـب وهـام عـلى وجهـه وارتكـب مـا عليـه يسـتحق العقـاب الصـارم أتعملـون بصفتـك يـا فريـد بـك الصديـق الأوحـد لـه عـلى معاضدتـه وتخفيـف العقوبـة عنـه؟

- بـدون شـك فإننـا بأجمعنـا رهينـو الإشـارة فيـما لـو أومـأ إلينـا بسـبابته مـا معنـاه أنـه يرجـو المسـاعدة، فإننـا نشـد أزره ونقـدم أنفسـنا ضحيـة وفـداء عنـه.

- العفـو يا بـك إنك بدون ريب الصديق الحميم.

وعـلى إثـر ضحكهـم أقبـل الخـدم بأطبـاق الحلويـات وعـم الصمـت المـكان، لكـن فريـد بـك فـواز قطـع حبـل السـكوت بقولـه:

- مـن العسـير حقـا أن ينجـو امـرؤ مهـما أوتي مـن جـدارة وقـوة الملاحظـة والبلاغـة والـذكاء الحـاد مـن مخالبنـا إذا اعتنـق الجرائـم فـإن في مكتبـي رجلـين وفتـاة مـن أبـرع مـا أنجـب الدهـر، فقـال جـمال باشـا وهـاب: اذكـر لنـا أسـماءهم يـا فريـد بـك هـل ثقتـك بهـم لا تغلـب؟

- واللـه إن لي بهـم ثقـة فـوق الوصـف فـإن توفيـق حسـام رغـم ضآلـة جسـمه ونحافـة عـوده مـن الأذكيـاء الذيـن لا تخفاهـم خافيـة، أمـا سـليم صابـر العمـلاق فإنـه يعصـف الفـولاذ عصفـا لقوتـه الخارقـة، ولكـن سـميرة نعيـم الحسـناء فإنهـا مترجلـة مـن النـوع الـذي يـروع ويذهـل ومـن عاداتهـا أنهـا تتنـاول رجـلا بيدهـا وتقـذف بـه إلى الحضيـض، وهـي بربيبتـي.

وتوقـف الزوجـان عـن تنـاول الطعـام وشـخصا كالمشـدوهين فقـال جـمال باشـا كالملتـاح:

- مـاذا تقـول يا فريد بك هل أسـمع حقيقة واقعة أم قصة خيالية؟

لا واللـه إنهـا الحقيقـة بحذافيرهـا فـإن اللـه عـز وجـل قـد منحهـا القـوة الجسـمانية الفائقـة في حـين أنهـا دقيقـة الجسـم نحيفـة العـود ولكنهـا فتانـة الجـمال حسـناء بـكل معنـى الكلمـة.

وهنا انتصبت وداد امرأة الباشا وقالت بتعجب:

- أرجوكم إذن يا فريد بك أن تحثها على أن نتبادل الزيارات بصفة تعارف فإني أتغالى بل وأعتز بفتاة هرقلية القوة كسميرة هذه المنوه عنها.

- حسنا فبعد غد سندعوكم إلى زيارتنا كما قررت عقيلتي نهاد وسترون سميرة وأمامكم سيجري الامتحان بخصوص قوتها الجسمانية.

ولم تمض فترة وجيزة بعد ارتشاف أقداح القهوة حتى صافحهما مدير البوليس مودعا وهو يؤكد لهما ما سرده على مسامعهما من قوة سميرة نعيم وترجلها وصلابة عضلاتها.

* * *

نهض جمال باشا وهاب من رقاده النهاري وحين أمّ الإيوان الرحب وجد خليلته بانتظاره فقالت له باسمة:

- يا أبا كمال لي ما أسره إليك. إن رغبتي صادقة بالقول هل ترفض؟

- إني لا أرفض لك طلبا وهل يخفي أحدنا على الآخر سرا من الأسرار؟

- حسنا هذا ما كنت أتوقعه أتحبذ الحديث هنا أم في غرفة الانتظار؟

- في غرفة الانتظار طبعا. سأعود إليك بعدما أنضح وجهي بالماء.

جلست وداد كأنها البدر في تمامه تنتظر في غرفة الانتظار عودة قرينها حتى إذا عاد جلس قبالتها فقالت له باسمة:

- هل أنت تحبني يا جمال أم تتملق لي وتموه علي وتراوغني؟

ابتسم الزوج ابتسامة سرور ورغد وهو يحاول عدم تلاقي النظرين ولكن عاطفته القلبية أرغمته على الإفصاح عن حبه، فرفع رأسه وتلاقى النظران ينطقان بما تكنه غسان أفئدتهما من حب فتاك وتفاهم قلبي تام وتبادلا الابتسامات المغرية الرائعة ثم فاه:

- أتشكين أنت بحبي يا وداد؟ هل ظهر لك فتور مني نحوك ألم ألبِ لك كل طلب، ألم أسمح لك بالحرية المطلقة، ألم أبادلك السراء والضراء، ألم أشركك الألم والنعم فماذا بعد ذلك؟

- أما أنا يا جمال فقد مضى على زواجنا عشرون عاما أرأيت مني ما تشمئز منه أو تنفر، ألم أكن لك المرأة الرضوخ ذات الصيانة، الكتوم لأسرارك والمحافظة بتدقيق على عدم مس شعورك أو كرامتك، ألم تبح لي بأني أعمل دوما على إسعادك وإبعاد الهم والغم عن صدرك، ألم أبكِ حين أراك كاسف البال حزين الفؤاد، ألم ألاطفك حين أشعر أنك تجهم المحيا تغوص في دماء النجوى والأحلام فماذا تروم بعد ذلك.

- إني أود سلامتك وأن يمد الله في عمرك حتى تعتني بتربية ولدنا الوحيد.

- هـذا القـول لا التبـاس فيـه، فكـمال، حبيبـي يـا كـمال إني أحبـه حتـى الموت وأنـت يـا جـمال كـم وعدتنـي وحنثـت ولم تـبر بوعـدك، إني أعـود إلى الـضرب عـلى النغمـة الأولى حـين يعـاودني الحنـين إليهـا وهـي بنـاء قـصر فخـم، إن أموالـك طائلـة وأنـت مـثرٍ عظيـم والأولى يـا جـمال الأولى لعمـري وأنـت تملـك ثـروة فاحشـة أن تشـتري أرضـا وتشـيد بنـاء شـاهق تأمينـا لمصـير نجلنـا الوحيـد، ونغـادر هـذا المنـزل فنتركـه وشـأنه إلى صاحبتـه سـلمى رحـال فـماذا ترتجـي مـن رصـد أموالـك في المصـارف إن مـن لا عقـار لـه لا وطـن لـه إننـا نعيـش كالشريـد الضـارع الـذي بـدون مـأوى وكلـما تمـر عـلى خلـدي هـذه الذكـرى أرتعـد لهـا وارتعـش، فـإن كل مـن نتبـادل وإياهـم الزيـارات يملكـون الفيـلات والقصـور إلا نحـن لقـد جـف رضـابي لقـد مللـت وسـئمت مـن تكـرار هـذا الاقـتراح، إنـك لا تحبنـي يـا جـمال إنـك تتهكـم عـلي وتسـتهزئ بي إني لا أود تعكـير صفـوك وتشـويش لبـك وتنغيـص حياتـك فحسـب، بـل أود أن أضمـن مـا يقـي ولدنـا الوحيـد غائلـة العـسر والضيـق في المسـتقبل إن العقـار لا يثمـن بثمـن إنـه الركـن للمـرء ولسـت أدري لتصلبـك وعنـادك الزنيمـين مـن سـبب، أيؤثـر بنـاء القـصر عـلى تضخـم ميزانيتـك السـنوية أيقلـل مـن جوهرهـا فـإن المـال والعقـار هـما كلمـة لهـا معنـى واحـد بـل الأخـير أسـمى وأجمـل، أتـود أن نظـل نوقـع عقـد الإيجـار والاسـتئجار أم تـرى أن اقتراحـي في غـير محلـه مـن القانـون؟

تأفـف الـزوج وقـال: - لسـت أدري مـا يوجـب هـذا الإلحـاح في الليـل والنهـار ألا تكفـين يـا وداد عـن نغمتـك الأولى هـل أنـت بحاجـة ماسـة إلى شيء مـا ومـا معنـى إذن الـترداد باللجـاج، ألسـت مـسرورة تعيشـين في

خضـم النعيـم والرفـاء. إن أمـوالي تـدر عـلي الألـوف وهـي في المصـارف أتريديـن أن أبعثرهـا وأبذرقهـا عـلى الجـماد أو مـا يسـمونه العقـار والبنـاء، إن لـك هدفـا وراء هـذه الأقـوال فافصحـي يـا وداد مـا مغـزى هـذا؟

- إننـي غـدوت أخجـل وأسـتحي وأنـا مسـتأجرة وأرغـب الطمأنينـة فـإن لـكل إنسـان غريـزة أليـس كذلـك؟ وأنـا مـن اللـواتي يحبـذن العقـارات لا المـال الجامـد ورصـده في المصـارف إنـه لـن يطيـب لي عيـش قبـل أن أرى نفـسي صاحبـة أمـلاك أؤجـر لا أسـتأجر هـذا هـو الـكلام الـصراح، وإني واثقـة مـن أنـك لـو كنـت عاقـد النيـة عـلى تشـييد بنـاء لفعلـت مـن أمـد بعيـد ولكنـك تمقـت مـا يدعونـه العقـار، أمـا أنـا فسـأظل رهينـة القلـق والوسـواس والاضطـراب حتـى أرى بنـاء مـا لي وخصوصـا بجـوار أخـوي نجيـب وخليـل، لـن أكـف عـن الـضرب عـلى هـذا الوتـر لـن أمـل وأنـا أكـرر هـذا الاقـتراح والـكلال لا يعـرف إلى لسـاني طريقـا، سـأضحي بـكل مـا أملـك مـن قـوى وإغـراء وسـيطرة ونفـوذ حتـى أحملـك عـلى النـزول عـلى إرادتي ومطلبـي وأن تعـدني وعـدا مـن النـوع الصحيـح الـذي يخلـو مـن الالتـواء والتمويـه فـأراك قـد تأهبـت وجهـزت وبـاشرت القيـام ونصبـت عـمارة تليـق بنـا.

- بل قولي بمقامنا السـامي ومركزنـا الأثيل ومكانتنا الرفيعة.

- إنـك جـم المـزاح يـا جـمال فـإن تفكهـك وتهكمـك يؤلماننـي ويخدشـان أذني إن وقعهـما عسـير عـلى مسـامعي سـأتركك وحـدك فاضحـك وامـزح مـا شـئت.

ولكنها قبل أن تخطو أول خطوة جذبها قرينها برفق من يدها وقال وقد تلاقى النظران:

- وداد سألبي لك كل طلب ولن أدعك تستائين على الاطلاق ثقي بصدق أمنيتي سأتقدم بمعاملة سحب أموالي من نهار غد إن شاء الله من المصارف وسأشتري أرضا شاسعة بعد وقوع اختيارك عليها، وسأشيد (فيلا) تزيد في سرورك وتجعلك رغدة طول أيام عمرك، غدا يا أم كمال.

عصرت المرأة وجنتي زوجها بيديها وقالت بدلع ودلال وحب:

- كم أنت حنون يا جمال إنك الرجل الإنساني، إنك لي كل ما أملكه في هاته الحياة الفانية.

تلاقى النظران فقال لها بصوت أشبه بالهمس منه بالصوت المألوف:

- وداد أنت الوردة اليانعة إنك نبراس هذا البيت أنت الوفاء أنت الإخلاص أنت المرأة المثمنة الفاضلة فإن ثمنك يفوق الجواهر، أنتِ حسن الحظ لعثوري عليك إنك أنتِ أنتِ بالصيانة والأخلاق ونقاء الطوية السريرة يا وردتي اليانعة.

* * *

كان جمال باشا وهاب رجلا ديمقراطيا بكل معنى الكلمة رغم غناه الفاحش هادئ الحديث معسوله ذا سلاسة ونعومة بألفاظه العسجدية الجذابة، محبوب الجانب في السريرة يستميت في الذود عن الفقراء

والمعوزين يحن ويعطف على البؤساء المتعبين والكل له محب مخلص بارز المكانة على قدر وفير من نبل الخلق وسمو المكارم يغار غيرة تفوق الحد المألوف والوصف على وطنه العربي وعلى إنجاح مصنوعاته وازدهار ما تنتجه البلاد بل ويعمل على ترويج كل شيء اسمه عربي ومن العجيب حقا أن يكون صديقه الحميم مدير البوليس فريد يوسف فواز على وتيرته وخصوصا بالديمقراطية فكان هذا الأخير ينفر من العجرفة والمكابرة ويحبذ مناجاة الفقير والصغير بشرط أنه لا يسامر إلا ذوي الاخلاق العالية، أما من جهة الثراء والمال، فهذا في نظره غير جوهري ولا يعلق أهمية عليه.

كانت الحفلة رائعة في بيته فقد حضرها بعض الباشاوات والبكاوات وأرباب المتاجر والشخصيات البارزة وكان صديقه جمال باشا وهاب يتصدر المكان، وقد أحضر عقيلته وداد الفاتنة ونجله كمال البالغ من العمر سن التاسعة عشرة.

كانت الموسيقى تصدح للرقص وقد تخاصر الرجال مع السيدات ولما وقف العزف التفوا حول الموائد يحفون بالمحتفى به فريد بك فواز صاحب البيت، بينما كانت امرأته تجلس بجواره كأنها هيلين طروادة بحسنها البديع والخدم يقومون بالواجب المعروف، فافتتح الحديث جمال باشا:

- يا فريد بك إننا نهنئكم على ما أسند اليكم من مهمات ولكن كذلك نود رؤية سميرة وامتحان قوتها فأومأ فريد بك بيده باسما

إلى شخصين بينها فتاة فوقفت على الفور وانحنت قليلا فقالت نهاد صاحبة البيت:

- يا آنسة سميرة إن جمال باشا من أعز أصدقائنا فهو وفريد بك كأخوين، وكذلك لا نود إزعاجك فباختيارك كل ما تشائين.

علا الاحمرار محيا الفتاة الحسناء وقالت بخجل وحياء:

- إني لا أرفض طلبا لفريد بك إنه رجل إنساني وإني أعتبر شخصه كأب لي، إني ربيبته والكل يعلم وصفق الموجودون ضاحكين وقائلين... برافو يا آنسة برافو وتقدمت الفتاة من وسط المكان فقال فريد بك باسم:

- من أراد أن يجرب نفسه فليدنُ منها ويصارعها.

تطاولت الأعناق إليها وامتدت الأحداق وشخص الجميع إليها وعلى الأثر انتصب رجل ضخم الجثة طويل القامة باسما وقال:

- هل تسمحون لي يا سيداتي وسادتي، ألا يمسني العار إذا بارزت فتاة عانسا البينة العريكة؟

وقال فريد باسما - الحفلة عائلية إننا كأسرة واحدة الآن فلا ضير إذا عارك الأخ أخته.

حدق القوم بالرجل والفتاة وتقدم منها وتماسكا بيد من حديد وحاول دفعها إلى جانب وهي لا تضاهي بنحافة عودها يده الضخمة، لكنه رأى أنها كالمسمرة الثابتة أو كأني برجليها مسامير تتصل بأرض المكان

وعالـج ببراعـة وقـوة قذفهـا إلى بعيـد فلـم يفلـح لصلابـة عضلاتهـا فكانـت تقبـض عـلى يديـه بأيـد مـن فـولاذ وشـعرها مسترسـل عـلى منكبيهـا وعـلى الإثـر قـال الرجـل:

- يا فريد بك إنك على حق إن الفتاة هي هرقل بنفسـه.

ثـم ربـت بيـده عـلى ظهرهـا يشـجعها قائـلا - ليمـد اللـه بعمـرك يـا آنسـة وليحفظـك وتحرسـك يـا ولـدي.

- فأجابته بكل حياء وخجل: شـكرا يا سـيدي وألف شكر.

وطفـق الموجـودون يصافحونهـا كل واحـد بـدوره يـدا بيـد أمـا السـيدات والأوانـس فكـن يتقدمنهـا مهنئـات يغمـرن محياهـا بالقبـلات بعـد عنـاق حـار.

وفرطـت سـبحة تلـك السـهرة الحافلـة وخـرج المدعـوون يلجـون بالثنـاء عـلى سـميرة نعيـم القويـة الحسـناء الهيفـاء.

الفصل الثَّاني
رصاصة

بعد مرور شهر على هذه الحوادث دعا جمال باشا حليلته وقال لها باسما وهو يومئ بسبابته إلى خزانة حديدية في ركن الغرفة:

- لقد سحبت كل أموالي من المصارف يا وداد، انظري إلى داخل الخزانة وتأملي ثروة زوجك بافتخار واعتزاز.

دنت الزوجة من الخزانة طروبا ضاحكة ولما تفحصت أوراق البنكنوت المكدسة فوق بعضها البعض أشرق وجهها والتفتت إليه باسمة الثغر وقالت بزهو وخيلاء:

- إن رؤية المال تحيي الأمل وتدب الحمية والنشاط في الجسد يا جمال وتجلب السرور والانتعاش والآن ألا تود شراء أرض وتشييد بناء فخم جميل؟

فأجابها باسما شامخ الرأس كالمعتز بنفسه لثروته الطائلة:

- بلى يا وداد بعد بضعة أيام سنذهب معا وسأطلق يديك وأمنحك حرية اختيار البقعة التي يقع نظرك عليها موقع الاستحسان والرضا.

وإذا بصوت عذب يقول: بابا اصنع بوابة حديدية أيضا وأنا سأشتري دراجة... أليس كذلك؟

التفت الزوجان على صوت نجلهما فضحكا بصوت مرتفع فجذب الأب ابنه وطبع قبلة أبوية على وجهه ولثم الولد يد أبيه، ثم عانقته أمه قائلة:

- يا ماما سأشتري لك كل ما تود وتطلب يا كمال... فقال الزوج:

- أتريدين شيئا آخر يا وداد قبل أن أقفل الخزانة الحديدية؟

- بلى يا جمال إني أود أن أودع كل ما أملكه من حلي وذهب كالأساور والخواتم والمجوهرات في هذا الدولاب الحديدي حتى تظل الثروة متجمعة مع بعضها البعض فتزداد ولا تنقص.

- كما تشائين هلمي إذا إلى جمع الحلي والمصاغ يا أم كمال.

غادرت الزوجة المكان ثم قفا أثرها نجلها كمال وجلس الزوج يدخن على مقعد وثير مخملي ينفث الدخان من فيه تباعا وهو يغوص في عالم الخيال والفرح يعم صدره والابتسامة الرائعة تعمر محياه جدلا وغبطة، وما هو إلا مرور ردح وجيز من الزمن حتى أقبلت عقيلته الحسناء تحمل بين يديها كمية وفيرة من القطع الذهبية الوهاجة وولدها يحمل البقية الباقية فوقف الزوج يساعدها ويودع المجوهرات داخل الحصن الحديدي المتين، ثم أوصد الخزانة وغادر الثلاثة المكان إلى مخدع آخر وجلسوا يتفكرون ويضحكون ليتم فرحهم وحبورهم كاملا.

* * *

في اليوم التالي بعد الغداء صعد جمال باشا وهاب إلى سطح المنزل والمنظار بيده ليمتع الطرف مناظر مدينة القاهرة الخلابة وقد دعا امرأته عدة مرات، وكان يضع المنظار على عينيه يمعن النظر إلى بعيد ثم يكرر نداءه يدعو خليلته لتقاسمه رؤية هذا المنظر الجميل الشيق، ولكن عقيلته وداد ما كادت تخطو أول خطوة على سطح المكان حتى دوى طلق ناري فأصاب جمال باشا المذكور في ظهره واخترق صدره فانبثق الدم قليلا وبسط الرجل يديه وبحيث أنه كان على حافة السطح هوى ساقطا من أعلى إلى أسفل وتهشم مترامیا على رصيف الشارع، وصاحت امرأته بصوت حاد ونبشت شعرها ودارت على نفسها كأنما مس من جنون حل بها ثم أطلت من أعلى على قرينها الهشيم فانفجرت باكية بجزع ووجل وغادرت السطح لترى رفيق عمرها وحياتها المقتول.

تجمع الناس يتسارعون بتجمهر زنيم تتصاعد الأصوات العالية من كل حدب وصوب ومنهم الهارب الراكض والمحتشد الجسور وأقبل رجال البوليس فمهد له المتجمهرون السبيل إلى رؤية القتيل ولما أبصره تناول صفارته ونفخ بها صفيرا حادا ولم تكن إلا برهة وجيزة حتى أجابه الصغير من جهات مختلفة.

ولكن البوليس النبريس طفق يعدو إلى أقرب محل موجود فيه تلفون ينبئ المركز بوقوع الحادث وقد هرعت شرذمة من رجال الأمن العام ففرقت الأنام وحملت الرجل السريع إلى السيارة التي اندفعت مسرعة إلى مستشفى قصر العيني.

أمـا بيـت المنكـود الحـظ فقـد اكتـظ برجـال البوليـس والنـاس وحدثـت شـبه ثـورة جنونيـة وعـلا الوجـوه الاصفـرار والوجـوم فـما لبـث رجـال الـدرك يفرقـون المحتشـدين وأقبـل الضابـط فأومـأ إلى رجالـه بالمحافظـة وسـد الشـوارع لمعرفـة مـكان مصـدر الرصاصـة الطائشـة وأقبلـت دوريـة أخـرى مـن البوليـس شـاكية السـلاح فسـدت منافـذ الطـرق تفتـش الغـادي والرائـع، ودب الذعـر في ذاك الحـي، فهـرول الجـيران ينوحـون ويبكـون يلتفـون حـول جارتهـم وداد السـيئة الطالـع، وحدثـت رجـة طويلـة في ذاك البلـد العامـر.

وعـلى الأثـر أقبـل نجيـب وخليـل سـالم فتقدمـا مـن شـقيقتهما وداد متأثريـن، فـزادت المـرأة نواحـا وويـلا يمـزق نيـاط القلـوب، وكان ولدهـا الوحيـد بإزائهـا يشـهق بالدمـوع صارخـا يـا بابـا.

أمـا في المستشـفى فـإن الطبيـب أجـرى عمليـة التشريـح وقـدم تقريـره بـأن الرصاصـة اخترقـت غشـاء القلـب وقضـت فـورا عـلى المغـدور، وكان نزيـف الـدم داخـل الجسـم وقـد طغـى عـلى الأمعـاء والجـوف.

وفي مسـاء ذاك النهـار سـمح الطبيـب لـذوي المقتـول باسـتلامه فوضعـوه داخـل التابـوت وأمـوا بـه البيـت فتصاعـدت الصرخـات وعـم النـواح المـكان فأغمـي عـلى عقيلتـه عـدة مـرار وأصابـت كـمال ابنـه رجـة في جسـده وخبـل في قـواه العقليـة كالهسـتيريا واجتاحـه دوار خبيـث كحمـى التيفوئيـد فنصـح لهـم الطبيـب بإبعـاد الشـاب عـن والـده.

أمـا وداد فدنـت ناحبـة منبوشـة الشـعر مـن أخيهـا نجيـب قائلـة بدمـع سـخين: نجيـب لقـد تـوفي جـمال زوجـي وغـدت شـقيقتك أرملـة وكـمال أصبـح يتيـما أيـسرك هـذا الموقـف؟

سـنصبح عالـة عـلى الغـير أيهـا الشـقيق - فأجابهـا أخوهـا خليـل ودمعتـان تنحـدران عـلى وجنتيـه:

- لا تجرحـي قلبـي بهـذه الأقوال فلن نهمل أمرك بعد الآن يا وداد.

قـال خليـل سـالم هـذا وخـرج إلى الردهـة مكلـوم الفـؤاد أمـا نجيـب فإنـه أعطـى الضعـف قـوة فتجهـم محيـاه وغـادر المـكان واليـأس ينهـش قلبـه.

جلسـت وداد والنسـاء حولهـا بجـوار جثـمان زوجهـا المسـجى عـلى فـراش المـوت قائلـة بنحيـب:

- لقـد مـت يـا جـمال وتركـت ابنـك الوحيـد يتيـما لا يجـد مـن ينـاصره ويـؤازره عنـد نكبـات الأيـام، غادرتـه بـدون إنـذار قبـل أن تودعـه وداع الختـام وقبـل أن تقـر عينـاك بـه وتـراه رجـلا صلـب العـود، هلـم بـك يـا ولـدي الحبيـب فـإني مـا زلـت حيـة لـن أتغـاضى عنـك وسـأدر عليـك حنـوي الأمومـي وأحوطـك بعنايتـي وأنـا التـي سـتقوم بـدور الأب لـك والأم معـا وأسـهر عـلى مصـيرك وأجعـل منـك الرجـل البـارز الفـذ، سأرسـلك إلى أهـم مـدارس العـالم فتفـوق أقرانـك وتغـدو الشـاب الناهـض المثقـف، فـإن والـدك قـد رحـل دون أن يودعنـا أنـت وأنـا يـا ماما.

جـمال لقـد كنـت نعـم الـزوج إن أخلاقـك السـامية قـد تركـت أبلـغ الأثـر في نفـسي ولـن أنـسى خصالـك وسـجاياك الجيـدة الجمـة، كنـت أبـا العامـل ونصـير المظلـوم وعـون العـاني الشـاهر الصـارم البتـار في سـبيل الـذود عـن الانسـانية المعذبـة والمنجـد القـوي لـدك معـالم الاسـتبداد والطغيـان مـن الغاشـمين الظالمـين، تنـادي لنـصرة الأيتـام والأرامـل وعـدم هضـم وغمـط حقوقهـم.

كنـت يـا جـمال تسـتميت في سـبيل تلقـين نجلـك كـمال وإرسـاله إلى أرقـى الجامعـات وأسـماها فأيـن أنـت منـه الآن لقـد غـدا يتيـم الأب ومـن يتعهـد بعـد بتثقيفـه وتلقينـه. يـا ربـاه. أمـا كان الأولى أن يظـل زوجـي الحبيـب حيـا وأن يمـوت مـن هـو مسـتحق المـوت سـواه، لقـد اغتالـه أثيـم، لا جريمـة اقـترف ولا ذنـب ارتكـب يسـتأهل هـذا الجـزاء كان جـمّ الأصدقـاء ولم يسـئ إلى أحـد طـوال عمـره وأيامـه.

في صبيحـة اليـوم التـالي كان موكـب الجنـازة مؤثـرا للغايـة وكانـت الشـوارع تغـص بالأنـام والوجـوم يبسـط جوانحـه والكآبـة تنتـشر عـلى الوجـوه، فـواروه الـثرى مرددين، مـن الـتراب والى الـتراب تعـود.

وفي منتصـف السـاعة الثانيـة بعـد ظهـر ذاك النهـار بينـما المـرأة الثـكلى تتقبـل التعزيـة مـن المعزيـن وولدهـا بجوارهـا، أقبـل ضابـط مـع أعوانـه وبعـد تقديـم فـروض التعزيـة حسـبما يتطلـب الموقـف إمـا مجاملـة أو كـرم خلـق أو رحمـة بالإنسـانية المكلومـة، طالـب بـكل أدب ولطـف مقدمـا الاعتـذار الـكافي أن يفسـح لـه المعـزون والموجـودون المجـال ويسـاعدوه مـا

أمكـن، ليقـوم بواجـب مهنتـه التحقيـق ليتمكـن مـن العثـور عـلى القاتـل الزنيـم.

واسـتقبل الحضـور كلمـة الضابـط بـكل رحابـة صـدر وأثنـوا عليـه الثنـاء الحـار فتقـدم عنـد ذاك مـن المـرأة الثـكلى قائـلا:

- يـا سـيدتي إننـي تخفيفـا للمصاعـب كيـلا تواجهـي في الدائـرة ويؤخـذ اسـتنطاقك، أحببـت أن أقـوم بالتحقيـق هنـا وأن أسـجل أقوالـك بحذافيرهـا حتـى لا أزعجـك عـلى الإطـلاق.

وأثنـى عليـه الحضـور للمـرة الثانيـة فقـال سـائلا المـرأة الثـكلى التـي كانـت تنتحـب بصـوت خافـت وأخواهـا يعزيانهـا عـلى مصابهـا:

- أتريديـن يـا سـيدتي أو أتسـمحين بـسرد حادثـة مقتـل المرحـوم جـمال باشـا زوجـك.

- آه يـا سـيدي لقـد دعـاني للصعـود إلى سـطح المنـزل وقـد صحـب المنظـار معـه وقـد كـرر نـداءه لي فلـما صعـدت وبـرزت وأنـا لا أكاد اخطـو أول خطـوة حتـى دوى عيـار نـاري ورأيـت زوجـي يبسـط يديـه ويـئن ثـم هـوى مـن فـوق إلى أسـفل.

شرقـت وداد بدموعهـا ناحبـة وكان أحـد رجـال البوليـس يسـجل هـذه الأقـوال، فقـال الضابـط سـائلا:

- هل كان لقرينك الباشـا المرحوم دين على أحد؟

صمتت المرأة الثكلى صمت الموتى تنظر إلى وجه الضابط باندهاش وأسفرت نظراتها الشاردة عن فقدانها صوابها لكن الضابط أعاد الكرة بالسؤال فقالت بلهجة متقطعة:

- لا أدري يا سيدي سوى أن المرحوم الباشا قد وعدني وعدا بارا قاطعا بشراء أرض وتشييد قصر جميل فخم تتوفر فيه كل أسباب وأنواع الراحة والطمأنينة، ولم يفِ بوعده فإن المنية عاجلته مع العلم بأنه كان قدوة في الوفاء، يا زوجي الحبيب.

بكت المرأة بدمع سخين فصبر الضابط على مضض متأثرا ولما فرج البكاء كربتها وتمالكت من تهدئة عواطفها قال لها سائلا:

- أين كان جمال باشا المرحوم يودع أمواله يا مدام وهاب؟

رفعت المرأة المكلومة المفجوعة رأسها وأومأت بيدها إلى ركن المكان حيث توجد خزانة ضخمة حديدية وقالت وهي تشرق بالدموع:

- لقد كان المرحوم زوجي يودع أمواله في المصارف لكنه استلمها من أمد قريب وذلك نزولا على رغبتي وبعد الحاحي الجم، ثم خبأها في هذه الخزانة الحديدية التي كان يطلق عليها اسم الحصن المنيع.

تقدم الضابط برجاله والورى حولهم ثم أعاد الضابط السؤال عليها ثانية:

- في نفس هذا الدولاب الحديدي كان الباشا المرحوم يودع ثروته يا مدام وهاب؟

- نعم يا سيدي.

دنا الضابط من الخزانة يعالجها فلم يرَ بدا من الاستعانة بالمفتاح فالتفت إلى المرأة الباكية التي كانت تجلس على مقعد مخملي ووحيدها كمال بجوارها وقال لها:

- أين المفتاح يا مدام وهاب هل تتلطفين بإحضاره؟

فهبت وداد منتصبة وهرولت إلى جاكيت زوجها المرحوم المعلقة في دولاب الثياب وفتشت في كل جيب من جيوبها فلم تعثر على المفتاح المنشود، فجزعت ووجف قلبها من الجبن والرعب ولم تصدق فزاغ بصرها وابيض وجهها حتى حاكى وجوه الموتى، ثم فتشت كل بدلات زوجها المتوفي وفي كل ثيابه فلم تجد للمفتاح أثرا فاعترتها نوبة عصبية جعلتها ترتجف كالريشة في مهب الرياح، وفغرت فاها من الجزع وكان الحاضرون لا يثقون ما تظهره من اندهاش ورعدة من أن المفاتيح اختفت، غير أن الضابط تأنق وقال مجاملا:

- لا بأس لا بأس سنرسل من يدعو لنا حدادا فيعمل على خلع الدولاب قبل أن يضيع الوقت جزافا. ثم أشار إلى أحد رجاله للحال لينادي حدادا، فهرع هذا فورا إلى الخارج وبعد انصرافه استطرد الضابط سائلا:

- يا مدام وهاب في أثناء إقامتك مع المرحوم زوجك الباشا ألم يحدثك يوما عن خلاف نشأ بينه وبين أحد؟

- عـلى الإطـلاق يـا حـضرة القومنـدان، فقـد كان المرحـوم سـلس الحديـث لذيـذ المعـشر يتحـلى بأسـمى الأخـلاق وأرفعهـا، فـلا أذكـر يومـا أنـه جـرى حديـث كهـذا بينـي وبينـه في كل المـدة التـي قضيتهـا معـه وهـي تزيـد عـن تسـعة عـشر عامـا فقـد تزوجـت وأنـا في السادسـة عـشرة سـل أخـوي أيضـا.

– يـا مـدام وهـاب إن الرجـال قلـما يحدثـون نسـاءهم ألم يسـك مسـامعك مـن أحدهـما عـن قرينـك شـيئا.

- كلا يـا سـيدي لا فقـد كان المرحـوم حسـن السـيرة حميـد المزايـا والخصـال قويـم المبـدأ شـهما فياشـا للغايـة وكان رفاقـه والخـلان والجـيران دومـا يطنبـون بأعمالـه ومآثـره الطيبـة ويتغالـون لهيامـه بعمـل الخـير وحبـه لوطنـه.

- وأنـا كذلـك كنـت أسـمع مـا تقولـين عنـه يـا مـدام وهـاب ولكـن تذكـري فلربمـا كان قـد وقـع بـين المرحـوم وبعـض المـلأ شـجار مـا؟

وضعـت وداد يدهـا عـلى صدغهـا وفغـرت فاهـا كأني بهـا تسـتجمع أفكارهـا لكنهـا مـا لبثـت أن رفعـت رأسـها المطـرق وقالـت:

- لا أتذكر.

واسـتأذن الضابـط وأمّ مـع رجالـه بعـض الغـرف ليتفقدهـا بمسـاعدة أعوانـه كأنـه اقتنـع مـن أقـوال المـرأة المفجوعـة التـي استسـلمت للعويـل والنحيـب وقالـت:

- لا تنفـع حياة الصبيـة المتزوجة بعد موت قرينها.

فأجابها أخوها نجيب - لا تيأسي من رحمة الله يا وداد سأصونك بعونه تعالى وأحميك مع نجلك كمال بيدي الحديدية وسأرسله إلى أرقى معاهد العالم وكلياتها.

وقال أخوها خليل - بل تنفع الحياة يا وداد فانت ونساؤنا واحد ونجلاك وأولادنا كذلك.

وفيما كان الاخوان يعزيان أختهما كان الضابط يتفقد جوانب الغرف كلا بمفردها بمساعدة رجاله وبينما هو دائب على تفتيشه دخل شرطي وأدى له التحية الرسمية وقال:

- لقد أحضرت الحداد يا سيدي إنه بالانتظار.

فأسرع الضابط وأمر الحداد بالدخول ليباشر بالعمل فدخل هذا الأخير يتبعه فاعلاه يحملان آلة العمل فأشار الضابط بتحطيم باب الخزنة أو خلعه سيان، وقد ازدحم الموجودون فأبعدهم رجال البوليس بكل لطف وأتمّ الحداد شغله وخلع باب الخزانة بوساطة الأوكسجين.

وازداد القوم ازدحاما فوق ازدحام قصد التفرج وأخذ رجال البوليس الاحتياطات اللازمة وكان الضابط أول من وقعت عيناه على داخل الدولاب فعاد كالمشدوه وكذلك عاد كل من نظر إلى داخله وحل الوجوم، فتقدمت وداد مسرعة وما كادت ترى حتى صاحت وقد ارتخت أوصالها وعلا الاصفرار محياها - فارغة يا ويلاه -.. يد خفية... سلبت ما كان فيها.

واعترى الجميع ذهول شديد ولشد ما كانت دهشتهم حين رأوا الخزانة خاوية خالية في حين أنهم ذوو ثقة تامة بأن جمال باشا كان من أرباب الألوف ومن الأغنياء الأثرياء، ولطمت وداد وجهها بيدها وصلقت وارتفع صوتها بالنحيب وطفقت تتفوه بألفاظ تذيب القلوب الصادرة فأسرعت امرأتا أخويها تلاطفانها وهي تنوح وتقول:

- مجوهراتي أيها الناس لقد أصبحت معدمة فقيرة أزحف على الحضيض.

إلا أن الضابط قد دفعه الفضول مرة أخرى وتقدم من الخزانة يمعن الطرف بها تماما فلفت نظره وريقة في قعرها بيضاء، فتناولها بكل روية وتأن وما كاد يقرأ سطورها حتى دب الذعر في أوصاله وفغر فاه وحدجه القوم يسألونه السبب فقال وهو يرتجف:

- سأخابر بالتليفون دائرة التحري وهاكم ما في الوريقة:

لقد أطلقنا رصاصة عن عمد وإصرار فأصابت جمال باشا وهاب في ظهره ونفذت من صدره وسببت له الوفاة وكذلك سلبنا كل أمواله من خزانته الحديدية بعدما حصلنا على مفتاحها السري وسيكون الموت نصيب كل من يحاول الاحتكاك بنا.

القاهرة في ٥ أبريل سنة ١٩٣٠

عصابة الأشباح الحمر

ضج الموجودون مذعورين متذمرين ودب الوجل في صدورهم فأسرع الضابط وحادث بالتليفون مدير بوليس التحري ثم عاد بعد قليل والعرق يبلل وجهه لاستيائه وعم الصمت المكان كأن الطير على الرؤوس وحل الفزع والرعب في القلوب، وعلى الأثر أقبل الخدم بأقداح القهوة كما هي العادة المألوفة، وبينما هم يرتشفون سأل أحدهم الضابط:

- يا سيدي إنا بتنا نخاف نحن معشر التجار على أموالنا، من أين ظهرت هذه العصابة عساها تكون دولية يا حضرة الضابط؟

- ربما أنها حديثة العهد شعارها اقتراف الجرائم وسفك الدماء ولكن سنطاردها ومحو دابرها محوة إن فريد بك من أبرع رجال التحقيق وأشدهم كفاءة بمطاردة اللصوص وإشهار الحرب العوان ضدهم سيبث رجاله ويقف لهم بالمرصاد ويقفو أثرهم حتى يبيدهم عن بكرة أبيهم.

صفق الحضور تصفيق البهجة والسرور كأن أقوال الضابط أحيت أملهم وأعادت إليهم الرجاء فدبت الحمية بهم بعكس وداد فإنها استسلمت للبكاء المفرط الحار.

بعد مرور نصف ساعة تقريبا والموجودون يتسامرون والكل يظهر بطولته وقفت سيارة أمام باب المنزل وهبط منها رجل طويل القامة تبدو سمات البطولة على محياه يتلفت يمنة ويسرة تم ارتقى الدرج

وحين دخوله القاعة هب الحضور وقوفا له يصافحونه ثم ضجت وداد بالبكاء وهو يصافحها وقالت:

- لقد طفن صديقك الأوحد يا فريد بك وقد اغتالته عصابة مخيفة وسلبت ثروته فأصبحت وداد امرأة صاحبك المرحوم عاهنة معوزة وكذلك غدا نجلها بمسيس الحاجة إلى نصير، ستعمنا الفاقة ويهاجمنا الفقر يا بك هلا تقيم على الوفاء وتثأر للمرحوم صديقك هلا أراك تهب لنصرتنا؟

ترقرقت الدموع في عيني مدير البوليس وقال بصوت خافت:

- لقد عز علي موته وكنت موجودا في المأتم ولكني يا أم كمال لا أبالغ إذ قلت بأنك سترين من فريد العجائب والمدهشات، اسمحوا لنا بالتفتيش يا سيداتي وسادتي.

تفرق الموجودون للمدير وهو يرمق الموجودين والمكان بعينين كعيني الصقر، وكان الضابط يتقدمه وناوله الوريقة وبعدما تمعن بسطورها وقرأ فحواها هز رأسه ودسها في جيبه ثم بدأ التفتيش من جديد ولم يترك محلا إلا ولجه ونقبه ثم صعد مع الضابط ورجال البوليس إلى سطح المكان وقاس المسافة بين وقوف وداد إلى وقوف صديقه المرحوم وبعد ما أتم مهمته عاد إلى الموجودين فوقعت وداد إمضاءها على قرارها ثم ودع الضابط بعد أن ردد كلمة التعزية وغادر المكان

مع رجاله وكذلك بدأ القوم بالانصراف فجلس فريد بك يتحادث مع نجيب وخليل ووداد فقال:

- سأرسم خطة أعثر فيها على الجناة الآثمة طالما قد ظهر القاتل وهو عصابة الأشباح الحمر، لا بأس سيبدأ النضال بيننا على ساق وقدم وسأثأر لمقتل جمال باشا زميلي بالتلمذة.

تأثر فريد بك وفرك يديه أسفا وأسى فقال نجيب سالم:

- إننا يا وداد يا أختي نجلس بمفردنا وقد انصرف المعزون وبما أن فريد بك بمثابة أخ لنا فأنا طبعا قد تأثرت لمصابك، ولا يسعني أن أبرهن لك عظيم أسفي وحزني على فقدانك قرينك ولكنني وطدت العزم على أن أصحبك ونجلك إلى بيتي فلا يجمل بك المكوث بمفردك وقد أصبحت معدمة على جانب عظيم من الفاقة والفقر، فنعيش كلنا بأجمعنا تحت سقف واحد في بيت واحد ونحيا حياة هنيئة ممزوجة بالصفاء والرفاء.

فقال فريد بك مدير البوليس السري:

- برافو نجيب بك هذا ما يتطلبه منك الواجب الإنساني فقد أصبت الهدف لأنه لا يجمل بك أن تهمل أمر شقيقتك وخصوصا وقد غدت مقطوعة النصير بلا رجل وبلا ثروة.

استرسلت وداد بالبكاء وقالت... يا ويلاه وكمال نجلي من يعتني به ويعلمه ويسهر على مصيره؟

فقال أخوها خليل بحدة - أنا سأرسله إلى الكلية بل إلى أعظم جامعات العالم وسيتم دروسه وعلومه مع نجلي أنيس وسأرسل غدا سيارتين تنقلان الأثاث بينما أرسل سيارة تنقلنا جميعا. فقالت أخته وداد:

- أما الأثاث فسأبيعه لأنفق على ولدي وأذهب معكما لا بأس.

فقال فريد بك وهو يربت بيده على خد كمال

- إن الحالة لا تتطلب السرعة الآن لوفود القوم للتعزية ولكن بعد أسبوع ستنقطع الحركة تماما وعليك بعد ذاك بتنفيذ هذا الأمر، أما أنا فهمتي معروفة وهي العثور على الجناة والانتقام لجمال باشا صديقي المرحوم انتقاما مريعا سيدونه التاريخ المقبل.

وبعدما ارتشف المدير قدحا من القهوة وقف مصافحا معزيا فقالت له وداد باكية:

- لم يعد لنا سواك من نصير يا فريد بك فلا تنس الصداقة وأذكر صديقك المرحوم.

- لن أنسى هذه الذكرى ما دمت حيا وكذلك كم بكت نهاد امرأتي لمقتل جمال باشا وقد حضرت للتعزية كما أخبرتني، لن أنقطع عن زيارتكم يا مدام وهاب.

ثم صافح كمال وعانقه والولد يبكي وكذلك صافح الأخوين وخرج مودعا والدموع تجول في عينيه.

وفي اليوم التالي أقبل المدير فريد بك فواز مع نفر من رجاله وأعادوا التحقيق من جديد فانتعش بذلك قلب المرأة المفجوعة وفتشوا البيت ورسموا خريطة تمثل السطح والدرج والشارع ثم فتشوا بعض البيوت المجاورة ووضعوا في كل زاوية شارع شرطيا للحراسة والمراقبة.

أما وداد حرم المرحوم جمال باشا وهاب المصون فبعد مرور أسبوع كامل عندما انقطع تقاطر القوم بخصوص التعزية جمعت ثيابها بإشارة أخويها نجيب وخليل، ثم ودعت صاحبة المنزل سلمى رحال التي ذرفت الدموع الحارة قائلة:

- إن هذا الفراق يؤلمني يا مدام وهاب والأولى إذا أردت الحق والحقيقة أن تمكثي مع نجلك كمال في منزلي، والله علي شاهد إني لا أتناول أجرة على الاطلاق فإن كمال بمثابة ولدي حسيب وفي نفس منزلته وكم كان حزني عظيما لمقتل جمال باشا فإنه كان مثالا للشهامة والخلق النبيل فإن نوائب العصر وصدمات الأيام لشيء يفتت الحشاشة فبعدما كنت مثرية ستصبحين فقيرة، إن هذه لهي أحكام الله.

فقال لها نجيب سالم شاكرا:

- إنا لا نقدر على مكافأتك يا أم حسيب والله نسأل ألا يفجعك بمكروه فقد أظهرت نواياك الحسنة بكل معنى الكلمة...

وهكذا كتب الشقاء على هذا البيت بفضل ظهور عصابة أفرادها من شر أهل الدهاء والمكر وانتقلت وداد سالم امرأة المرحوم جمال باشا

وهـاب إلى بيـت شـقيقيها نجيـب وخليـل مـع نجلهـا الوحيـد كـمال بعدمـا باعـت أثـاث بيتهـا عـن بكـرة أبيـه وأصبحـت مـع فلـذة كبدهـا تسـتجدي بعدمـا كانـت تجـود، وتسـتعطي بعـد مـا كانـت تمـن وتعطـف.

الفصل الثَّالث
الإنذار

كان الخطيبـان يتنزهـان في الحديقة وبعدمـا جالا مدة فيها قال الخطيب:

- يـا أمينـة لا يطيـب لي الجلـوس إلا بقربـك ولا أحظـى بالسـعادة إلا بجوارك إنـك مـلاكي الحـارس أنـت لي الحيـاة كلهـا ولا مندوحـة لي مـن العيـش معـك تحـت سـقف واحـد، وسـأبذل كل مـا في مقـدوري حتـى تستنشـقي الحريـة الكاملـة وسـأفرغ كل مـا في كنـاتي لأوفـر لـك كل أسـباب السـعادة والحبـور، مـاذا تريديـن ومـاذا تطلبـين وأني سـأنزل عـلى مطلبـك ولـو كلفنـي روحـي الغاليـة، سـأضحي هـذه الـروح رخيصـة في سـبيل رضـاك وهنالـك.

نظـرت إليـه أمينـة مـرزوق خطيبتـه نظـرة مغريـة وهـي عـلى قسـط وفـير مـن المحاسـن الخلابـة ذات قـوام ممشـوق وجـاذب قاهـر وجـمال رائـع فضـاح وباغتتـه قائلـة:

- يوسـف إني لا أطلـب إلا سـلامتك وصحتـك وسـوف أرى إذا كنـت وفيـا وتـبر بوعـدك ولا تضطهـدني بعـد الـزواج وعقـد القـران، إننـي ذات ثـروة طائلـة وأنـت مـثرٍ كبـير ولكنـي سـأتنازل عـن كل مـا تملـك يـداي في سـبيل رضـاك.

- إني أحبـك حتـى المـوت يـا أمينـة ولا أمـد يـدا لِتَرِكَتِـك وإرثـك بـل سـأطرح ثـروتي وأمـوالي تحـت قدميـك إن ضمـيري يحثنـي ويحرضنـي بأننـي لـن أحظـى بـذاك اليـوم المنشـود الـذي هـو يـوم الزفـاف، لا أدري مـا لهـذا

الدافع الغامض المبهم من سبب، أمينة أقسمي أنك ستذكرين يوسف ماجد خطيبك ولا تتزوجين سواه.

تلاقي النظران ينمان عن الحب الخالص المتأصل في الحنايا وفي الصميم، وتماسكت أيديهما وها يبتعدان عن بعضها البعض فقالت باسمة وهي زائغة البصر تقريبا:

يوسف لن أتزوج غيرك ثق بذلك سأظل بتولا عذراء علامة العهد بيننا وسأصلي صلاة بخشوع وورع عن روحك، يوسف ماذا أقول لقد وثب قلبي من مكانه يا ويلاه أنت تموت، سأقفو أثرك إني أتمنى أن أموت فداء عنك، بالله عليك لا تؤلمني بهذه الذكرى إنك الشاب الشهم والدليل على ذلك حتى الآن لم أر منك ما منه أشمئز أو أنفر إنك مثال للأدب ونبل الخلق.

- يا أمينه ما يؤلمني ويحز في قلبي أني وحيد بيتي كما تعلمين فإذا ما أصابني صائب فينقرض اسمي وذكري إلى الأبد فأصبح نسيا منسيا.

- ماذا تقول يا يوسف هل أصبح الموت رخيصا إلى هذه الدرجة والقانون والحكومة والبوليس ما هذا الهذيان، ناشدتك الله ألا تردد هذه الأقوال على مسمعي مرة أخرى أنت رفيق صباي وسأظل وفية لك حتى يلمس العثير جسدي.

اغرورقت عينا يوسف ماجد بالدموع ثم تقدم خطيبته وجلس على مقعد فقال وأمينة تقف قبالته:

- إني أشعر بانقباض في صدري ويد من فولاذ تكاد تعصر قلبي. أمينة لا أدري كيف السبيل إلى نبذ أفكار السوء هذه إني أتألم وأتوجع أشقى وأتعذب لقد بحت لك بمكنون صدري ولي من الأمل والرجاء من عدم اذاعتك واباحتك بجبني ووجلي ورعدتي.

- لا أبوح لأحد ولن أذيع على امرئ خوفك هذا، يا يوسف هل أنت طفل إنك تبلغ الخامسة والعشرين عاما، شدد عزيمتك يا صاح واعتمد على الله فهو الحامي في الشدائد وهو تعالى العون لنا على المخاطر والنوائب، إن أقوالك تصبر كبدي لا أود أن أسمعك تتفوه بها مرة أخرى على الاطلاق على الاطلاق.

كان يوسف ماجد مجالد ويناضل ويحارب الغم المستحوذ عليه فكان جمّ الآلام النفسانية لكنه انفجر باكيا كالطفل الرضيع متوجعا فدنت منه أمينة ترثي لحاله وبكت هي الأخرى تشاركه أوجاعه وآلامه فقال:

- إن هذا الدافع الخفي ينذرني بالقطيعة وانقراض عمري وأيامي يا أسفاه لو كان لي ابن يحمل اسمي ولقي من بعدي هذا ما يفتت حشاشتي وينهش قلبي، إني وحيد بيتي وستقفو شقيقتي أسمى أثري بعد موتي حزنا وغما.

انحـدرت الدمـوع مـن مآقـي أمينـة مـرزوق خطيبتـه فجلسـت بجـواره تجفـف عبراتهـا المنهمـرة وقالـت بحـزن وأسى:

- يوسـف إن هـذا النـواح دون عاداتـك وهـذه أول مـرة منـذ تاريـخ الخطبـة مـن سـتة أشـهر أراك فيهـا تنتحـب كمـن يثـق بقـدوم العقـاب عـلى مـا اقـترف مـن جرائـم، فإنـك تتكلـم كلام الواثـق بحلـول القصـاص الصـارم إن عاجـلا أو آجـلا. بربـك يـا يوسـف هـل ارتكبـت جريمـة في الخفـاء دون ان تعلـم خطيبتـك، إني سـأتكتم التكتـم المميـت ولـن أبـوح بمـا يمسـك أو يعرضـك لأتفـه العواقـب، إني سـأكون في الطليعـة لمناصرتـك واخفـاء جريمتـك.

نظـر إليهـا يوسـف كالمشـدوه وقـد بللـت الدمـوع وجهـه وقـال وهـو زائـغ البـصر:

- مـاذا تقولـين يـا أمينـة إني لا ألـوث يـدي بمـا يغيـظ اللـه والقانـون معـاذ اللـه أن أمـس شـخصا بسـوء، فـإذا كنـت أنـا لا أرحـب بمـن يـسيء إلي فكيـف بالأحـرى أسيء إلى غـيري. إني أحافـظ عـلى كرامتـي وعـلى شرفـك محافظـة دقيقـة، سـأبتر يـدي قبـل أن ألمـس امـرئ وأعمـل عـلى أذيتـه وضرره إنـه مخلـوق نظـيري قـد عـانى أهلـوه الأهـوال في سـبيل تربيتـه، أنـا أقـدم عـلى أمـر كهـذا واعـرض نفـسي لغضـب السـماء والسـخط النـاس، أن لي ضمـيرا حيـا يـا أمينـة فـما الـذي حـذا بـك إلى الصـاق هـذه التهمـة في، إن أقوالـك تروعنـي وتذهلنـي وعـلى كل لا أعـداء لي ولكنـي أحدثـك عـن السـبب الـذي منـه أرتعـد، إن عصابـة خطـيرة ظهـرت حديثـا يسـمونها

عصابة الأشباح الحمر قد اغتال أفرادها جمال باشا وهاب من بضعة أيام، وإني أتوقع أن تصيبني هذه العصابة برشاشها لا لذنب اقترفت أو لجريمة أتيت بل كما يقولون إن العصابة لا تتورع عن قتل الأبرياء في كل آن بدون مبرر.

ابتسمت أمينة وجذبته من يده قائلة وهي ترمقه بنظرة حنو وعطف:

- خفف عنك يا يوسف رفه عن نفسك وانفض الغم وأنبذ الوسواس إن هذه العصابة لهي مجرد وهم لا حقيقية واقعية، وإذا فرضنا جدلا أنها عصابة دموية فما شأنك بها إنها لا تنظر اليك ولا تفكر بك يا يوسف، إن أفرادها يطاردون الباشاوات لا البكاوات أنت بك لا باشا وعلى كل سأحدث أبي حتى تظل تحت حمايتنا ولن أهمل أمرك أو أعرضك للخطر.

- هل وثقت الآن يا أمينة أني بريء الذيل لم أقترف منكرا أستحق معه العقاب.

- بدون شك لقد آمنت الآن بأنك نقي الشريرة أما من جهة العصابة والعصابات فهذه أمور لا يعول عليها، ولو كنت حادثتني من قبل عنها لبينت لك خطأ مزاعمك وحدسك وإذا كان الناس جميعا يخشون على نفوسهم كما أنت تخشى، فإن الحكومة ستبدد هذا الخوف وتهيئ جيشا عرمرما ويضطر الشعب إلى مهاجمة العصابات وإلى تسليح نفسه والدفاع عن أرواحه.

هدأ روع يوسف ماجد قليلا وقال بنعمة الارتياح وعدم الارتياب:

- لا أدري كيف أشكرك يا أمينة لقد عزيتني إنك تواسين قلبي المعذب فإن ألفاظك كالبلسم على الجراح الطريئة.

- كن مطمئن الضمير واللب يا يوسف فإني أتألم حين أراك كئيبا ممعورا وأتوجع لحزنك فلن أتركك وكذلك والدي سيدافع عنك بكل ما لديه من قوى ولن يدعك ترى الضيم، إنك رأسي المدبر وعقلي المفكر إن أبي يحبك كأحد أبنائه فإذا ما علم بيأسك وقنوطك سيهدد ويتوعد ويقلب دوائر البوليس رأسا على عقب هلم يا يوسف لنقص على أبي سر رعدتك ووجلك من هذه العصابة الدموية المروعة، فإن أبي لا تخفاه خافية سيسرد علينا الحقيقة بحذافيرها.

حين دخول يوسف وأمينة وجدا داوود مرزوق في الايوان مع عقيلته ونجله جبر فأسرع الخطيب وحيا ثم جلس كئيب الصدر مغموم الفؤاد وكذلك جلست خطيته بإزائه فاتجهت إليهما الأنظار فقال داوود باشا:

- إني أراك منقبض الصدر يا عماه هل اجتاحك دوار ما؟

تنهد الخطيب بينما طهقت أمينة بالجواب فقالت بصوت مرتفع:

- بابا أتعلم شيئا عن عصابة ظهرت حديثا يطلق عليها اسم عصابة الأشباح الحمر؟

وتكلم الوالد وهو يشعل سيجارته وقال بعدما تنحنح بكل هدوء:

- بلى يا بابا لقد سمعت عنها الشيء الكثير، لأقص عليك إذا ما اتصل بي من أوثق المصادر أن هذه العصابة وأفرادها مجهولو العدد والمكان، قد أخذت تعيث في الأرض فسادا وشرا فلا تتورع عن قتل الأبرياء وعن تحطيم سعادة البيوتات، فلا تعرف للرحمة محلا ولا تدب في أوصال رجالها الشفقة الانسانية فتحرم الآباء من أبنائهم فلذ أكبادهم وكذلك تخطف رصاصاتهم أرواح الأزواج، فقد ابتكروا بجرائمهم كل أنواع الخفة والسرعة والتفنن بالسلب والنهب واطلاق النار على أفراد الشعب وتشويه ضحيتهم لإخفاء معالم الجريمة، بل وزادوا ندى بأنهم يقتلون ويسلبون في آن واحد وانذاراتهم مما تروع وتذهل وتهديدهم يقف له شعر الناصية حتي بات الرأي العام يحسب لهم أشد الحساب وقد دب الذعر في القلوب، فإنهم اليوم مثلا يرسلون إنذار وغدا ينفذون مآربهم وأغراضهم فيأخذون المال المطلوب ويقضون علي صاحبه القضاء المبرم.

علا الاصفرار وجه يوسف والتفت إلى خطيته أمينة التي ذعرت وفغرت فاها فقالت:

- بابا إن يوسف يخشى هذه العصابة وأنه يتوقع عدوانها وأذاها ولذلك أحببنا أن نسألك لنتمكن من الاستفادة منك، فقد غدوت أنا الأخرى أرتعد بل وأخشى على حياة خطيبي بابا ألا ترحمني يا أبتِ؟

مضت الفتاة وترامت على صدر والدها الذي قال بكل هدوء:

- ومن أين تهتدي هذه العصابة اليك يا عماه إنها تقصد الأثرياء الفاحشي الغنى والمال لا المتوسطي الحال نظيرنا وإن كنا في مرتبة الباشاوات والبكاوات، خفف عنك يا ولدي فإني أمنع من عُقاب الجو هل وردك إنذار من هؤلاء الأشرار؟

وتكلم يوسف ماجد والألم يحز في قلبه كالحزين المفجوع وقال بوجل ورعادة:

-- لم يردني إنذار يا عماه وأنا ممن لا يحسبون حسابا للموت ولكنني لا أدري ما كنه هذا الدافع الخفي الغامض الذي يجعلني اهتز وارتعد.

وقالت امينة مرزوق على الفور:

- بابا لأقص عليك القصة بحذافيرها إنك يا يوسف تعطي الضعف قوة والمرء في حق نفسه ضعيف، إن خطيبي يا أبتِ قد صورت له مزاعمه أنه سيموت وينقرض بيته ويضمحل اسمه وذكره ولا يجد من يحمل لقبه بعد مماته.

ضج البيت وبدا الذعر في الوجوه فقال أخوها جبر:

- ما هذا يا يوسف إنك رجل لا طفل لماذا يصور لك الوهم هذه الحالات المؤلمة حسنا ابقى ههنا حتى يزول الخطر.

وقالت الأم - يا ولدي، لقد كاد يثب قلبي من مكانه لدى سماعي هذا النبأ إنك يا عماه ما زلت في عنفوان الشباب وستنجب أفضل البنين. داود اعمل على الاسراع بزفافه يا داود ولا تتوانى، مسكين يوسف لقد آلمني قوله إنه يذيب القلوب الصخرية لا تهاون يا أبا جبر غدا بل من الليلة هيأ مسألة القران بالله عليك، وأنت يا عماه يا يوسف ستظل بين ظهرانينا ولن نسمح بمغادرتك المكان إنا نحبك كولد من أولادنا.

كاد يوسف يبكي فأقبل جبر يلاطفه ويطوقه بذراعيه فقال بعد جهد بصوت أقرب إلى البكاء منه إلى صوت الأمر:

- ولكني مرغم على الانصراف لرؤية أختي، إني لا أدري كيف أشكركم جميعا والحقيقة يا امرأة عمي إني حين طرأ مسامعي اغتيال جمال باشا وهاب شعرت مخفوق في قلبي وبرعدة وهزة في أوصالي، وهاجمني فكر زنيم يصور لي نفس الميتة ونفس الاغتيال وإن بيتي سينقرض وستهيم أختي أسمى على وجهها ولا تجد من يدر عليها عطفه الأخوي وحنوه الأبوي. إنني بكل صراحة أحب أمينة حب الهيام المر ولا أقوى على البعاد عنها ولكني أود بعد موتي ألا تتزوج من سواي لأننا قد تعاهدنا على الوفاء والاخلاص.

زمجر عمه داود وقال وبريق خاطف يلمع في عينيه، يوسف إن الموت ليس رخيصا إلى هذا الحد سأنقض على المنايا انقضاض النمر الطريد هل نسيت نفوذ عمك داود وطول باعه إني سأدك معالم هذه العصابة

دكا وسأمحو دابرها إلى الأبد، إنا نحبك يا عماه وكذلك أمينة لا تتزوج سواك وأنا نفسي لا أرضى ان يدخل بيتي خطيب كل فترة من الزمن، لقد كنت لنا الابن ونحن لك الوالد والأهل، اطمئن يا عماه ما هذا الهذيان، العصابة وما شأنها بك إنك عالي الأخلاق وديع القلب سكوت ضحوك لم تدنُ من أحد ما بسوء. من أسرة عريقة في الشهامة والآداب فما معنى هذه النبوءات الموت، الكل منا سيموت هذه حقيقة راهنة ولكن بعدما تقضي رسالتك في الحياة من خير وشر فإن الله لا يقصف زهرة قبل أوانها، طب نفسا يا عماه إني أسد الغاب، وأنت يا جابر اذهب برفقته ولا تعد إلا بصحبته وصحبة أسمى شقيقته أفهمت؟

ومن فرط حمية داود مرزوق ارتفع صوته عاليا وطفق يصول ويجول ويزمجر ويزبد ويرعد حتى أخيرا وقفت امرأته شفيقة وقالت:

- داود رويدك لقد وثبت عن جدار ضبط النفس رفه عنك يا أبا جبر.
فقال لها:

- لو لم يكن لهذا الخطيب ثقة بنا لما باح لنا بمكنون صدره إني سأنقض انقضاض الأسد الطريد لقد دوخت الدوائر وعصفت بالمناوئين وبددت الأعداء وسحقت الرؤوس.

ترامت أمينة على والدها باكية بصوت مرتفع قائلة:

- بابا إني أتوسل اليك بالمحافظة على يوسف، بابا إني أضرع اليك أن تحميه وتدافع عنه يا أبتِ.

- لا تخشي شرا يا فتاتي فإني سأقلب الأرض رأسا على عقب سأهز الوزارة هزا إذا حصل ما نرتاع منه ونخشاه وسأبين لها كيف تجني الضرائب الفاحشة من هذا الشعب الفقير الذي يئن ويتوجع من الجور والاضطهاد.

كان داود يرتعد فجذب جبر يوسف من يده بكل لطف وخرجا مودعين وقد سقطت أمينة منهوكة القوى تنتحب وتشرق بالعبرات.

ما كاد يوسف ماجد وجبر مرزوق يدخلان البيت في حي قصر الدوبارة حتى لاقتهما أسمى باشة هاشة وبعدما طرحا تحية المساء واستقر بهما الجلوس أقبلت أسمى تحمل رسالة قائلة:

- يوسف لقد أتى موزع البريد وترك لك هذه الرسالة إنها مرسلة اليك وعلى اسمك.

تناول يوسف الرسالة بأيدٍ مرتجفة وفضها وما كاد يقرأها حتى ارتعد وبدأ الذعر في وجهه وعلا الاصفرار محياه فانذهلت أخته أسمى وتراجعت مذعورة أما جبر فإنه تلقفها من بين يديه وقرأ فاذا فيها ما يلي:

القاهرة - ١٥ ابريل سنة ١٩٣٠

لحضرة يوسف بك ماجد المحترم لقد حكمت عليك محكمتنا بدفع خمسة آلاف جنيه مصري عنك وعن خطيبتك أمينة مرزوق المصون، ولا نقبل احتجاجا ولا اعتراض ومهلة الدفع حتى

منتصف الليلة أما المكان الذي ستضع فيه المبلغ فهو في الزاوية الغربية من جنينة بيت الخطيبة تحت حجر ضخم ستجده هناك، أما إذا اطلع البوليس على إنذارنا أو أتيت من الأعمال ما منه نستاء فاعلم بعد ذاك بأنك معرض للموت بكل آن في قارعة الطريق، والرجاء عدم انزعاجك، أما كيفية عثورنا على اسمك ومعرفتنا باسم خطيبتك فهذا أمر تافه في حد ذاته فإن ملايين وألوف الرسائل ستصل أصحابها ممن هم في منزلتك أو أرفع شأوا والسلام.

عصابة الأشباح الحمر

تأوه يوسف وبدأ الذعر على محيا أخته فطهقت إليه باكية تعانقه وبعد مرور برهة وجيزة نفض جير عنه الذهول وقال:

- هيا بنا على الفور إلى والدي وسنترك البيت تحت عناية الخدم هيا بك يا أسمى قبل فوات الأوان.

وعلى اثر صوت جبر أقبلت الخادمة فأوصاها جبر بالمحافظة على البيت وأن توصد النوافذ والأبواب ثم غادر الثلاثة المكان وركبوا سيارة أقلتهم إلى حي الجزيرة، فهبطوا يدخلون باب الحديقة صاعدين إلى المنزل والذعر يبدو في وجوههم والخوف يبسط عليهم جوانحه.

حين أموا عتبة البيت ضجت أسمى ماجد بالبكاء ووقف يوسف كالمشدوه الفاقد الصواب أما أمينة فإنها تراجعت فاغرة فاها بجزع

فنـشر عنـد ذاك جـبر الرسـالة بـين يديـه، وطفـق يقـرأ سـطورها كلمـة كلمـة ومـا أتى عـلى آخرهـا حتـى هـب داود مـرزوق ناهضـاً وضرب الطاولـة بيـده صارخـا:

- لقـد كنـت أظنـك جبانـا يـا يوسـف ولكننـي وثقـت بـأن الوحـي لا يخطـئ البتـة فـإن قلبـك أنـذرك سـلفا بوفـود الـشر، إني سـأحمل هـذا الانـذار وأبـرزه للبوليـس وأنـت ابـقَ هنـا لحـين عـودتي، لا يحـرك أحدكـم سـاكنا سـأعود بعـد قليـل.

كان يوسـف يجلـس غائصـا في خضـم الأفـكار شـارد الوعـي مبعـثر اللـب كأن شـيئا مألوفـا أمامـه يحـدث أو كأنـه يـرى روايـة تمثـل عـلى المـسرح لا حقيقـة واقعيـة بـل لا شيء يحـرك عواطفـه أو يثـير أشـجانه وأتراحـه فغـدا الموجـود المفقـود بـين شـبح القنـوط والرجـاء فقالـت شـفيقة:

- إلى أيـن يـا داود ومـاذا تسـتنتج مـن البوليـس وتحرياتـه فـإني أرى حـلا للمعضلـة وهـذا الحـل هـو أن تذهـب بنفسـك وتضـع المبلـغ تحـت الحجـر المنـوه عنـه يـا أبـا جـبر.

زمجـر داود وصـاح - مـاذا تقولـين يـا شـفيقة ومـن منـا يضمـن العـودة إذا عـزم عـلى وضـع المبلـغ المذكـور فـإن هـؤلاء الرعـاع يتناولـون المـال ويقضون عـلى الشـخص الـذي جـازف بحياتـه، مـن يأمـن لهـذه العصابـة جانبـا إن البوليـس هـو المسـؤول سـأتصل بضابـط المركـز ولكنـي لا أود شـغبا ولا تشويشـا، كونـوا عـلى حـذر واقفلـوا الأبـواب الخارجيـة واطفئـوا الأنـوار وسـتكون العلامـة بيننـا قـرع البـاب ثـلاث مـرات إذا رجعـت إلى المنـزل.

قال داود هذا وخرج بكل هدوء فأوصدوا الباب ورآه بالمزلاج وأطفأوا الضوء ثم انضموا إلى بعضهم البعض كالخراف إذا ما هاجمتها الذئاب المفترسة وارتفع صوت النحيب من أسمى وأمينة في غياهب المكان.

* * *

وقفت السيارة وهبط منها داود مرزوق فأمّ الدائرة وامتثل أمام الضابط قائلا بكل تأنٍ وهو يضبط عواطفه:

- تفضل يا سيدي فقد وردتنا هذه الرسالة قبل ساعتين.

ثم نشر داود باشا مرزوق الرسالة وقدمها إلى الضابط الذي ما كاد يتصفحها حتى ارتجفت يداه فرفع رأسه يخاطب الرجل:

- تفضل استرح يا حضرة الباشا لبينما ندعو المدير فهو خبير بمثل هذه الأمور، والله إن هذه العصابة للغز غامض ولكننا سنمحو أثرها واسمها إلى الأبد حسنا، تفضل يا سيدي.

تم أومأ الضابط إلى أحد رجاله وأمره بأن يبلغ مساعد المدير إذا كان ما زال موجودا في مكتبه فأدى البوليس التحية الرسمية وغادر المكان وقد تبادل الضابط وداود باشا النظرات المبهمة إلا أن البوليس عاد يقول:

- إن حضرة المساعد قد بارح المركز يا سيدي من زهاء عشر دقائق.

وتناول الضابط سماعة التليفون وطالب رقم ١١١٤ ثم تكلم:

- فهيم بك لقد وصل بعض الناس إنذار من عصابة الأشباح الحمر.. ستعود حضرتكم حسنا إنا بالانتظار. ثم خاطب الباشا وقال:

- إن مساعد المدير عائد وقد أوصاني حتى تظل هنا يا سيدي.

- بدون شك إني هنا ولن أغادر المكان قبل مشاورة المدير فإني أود أن أعرف أدفع المبلغ إلى العصابة أم سيكون له رأي آخر؟

بعد خمس عشرة دقيقة دخل رجل ربع القامة ملآن الجسم فوقف له الضابط يؤدي التحية العسكرية ثم ناوله الانذار وبعدما قرأه أشار إلى رجال البوليس بالتأهب ثم خاطب الباشا قائلا:

- يا حضرة الباشا متى تلقيتم هذ الإنذار؟

- لقد أحضره موزع البريد زهاء الساعة الخامسة من مساء هذا النهار.

- لماذا لم يحضر صاحب الانذار يوسف ماجد بك؟

لأنه خطيب فتاتي وأنا لا أعرض حياته للخطر فإن أفراد هذه العصابة لا وجدان بل لا ضمير حي لهم، إنه وحيد بيته وعائلته وأنا كذلك أود المحافظة على سلامة ابنتي لأنه خطيبها فقد تركته في بيتي ولن أسمح له بالخروج.

- حسنا ستذهب الآن مع رجال البوليس ليأخذوا الاحتياطات اللازمة ومراقبة الذين سيأتون ويستحوذون على المال.

- هـل يسـمح حـضرة المديـر بـأن نضـع هـذا المبلـغ مـن المـال تحـت الحجـر الـذي وصفـه أفـراد العصابـة؟

ضرب مسـاعد مديـر الأمـن العـام الطاولـة بيـده ولمـع بريـق في عينيـه وهـاج وقـال بصـوت الأمـر:

- أبـدا إننـا نـروم القبـض عـلى العصابـة إن البوليـس شـديد الحـرص والسـهر، هـل غـدا الشـعب يحسـب حسـابا لعصبـة مـن الرعـاع أفاكـين ماكريـن سـأضرب عـلى يدهـم بعصـا مـن حديـد فأبترهـا لهـم بـترا، سأشـصب عيشـهم.

قـال مسـاعد المديـر هـذا ودس الانـذار في جيبـه ثـم غـادر المـكان إلى سـيارته التـي كان يقودهـا بنفسـه وقـد قامـت تسـبق الريـاح بسرعتهـا.

وبعـد انـصراف المسـاعد أقبـل الضابـط بخمسـة رجـال مـن أعوانـه مزوديـن بالبنـادق والمسدسـات وقـال الضابـط:

- تفضـل يـا حـضرة الباشـا إننـا لا نعـرف المـكان ويظـل تحـت المراقبـة حتـى يـزول الخطـر أو ينجـلي الموقـف الحـرج هـذا.

ركبـوا سـيارتين قامتـا تنهبـان الأرض نهبـا ولمـا وقفتـا هبـط الجميـع وبـث الضابـط رجالـه في المـكان الـذي ذكـره اللصـوص في رسـالتهم، وقـد أشـار عـلى أعوانـه بالانبطـاح عـلى وجوههـم والاسـتعداد لإطـلاق النـار بعدمـا يسـمعون صوتـه منـذرا للمـرة الثالثـة بهـذه الكلمـة، قـف.

الفصل الرَّابع
الشَّبَح الأحمر

دخل مدير الأمن العام بناية فخمة ذات أربعة أدوار ثم عرج وهو يرتقي الدرج إلى المين وأمّ بابا في الدور الثالث فلاقاه بوليس وأدى له التحية الرسمية وفتح المدير الباب وأمّ المكان فوثب مدير التحري واقفا يحاول تأدية التحية الرسمية فابتسم مدير الأمن العام وأسرع يصافحه بيده قائلا:

- فريد بك ألا تعجب لقدومي الفجائي بصفتي مدير الأمن العام، لقد أتيت بصفة خاصة لا عامة وقد تستغرب زيارتي أنا الذي بوسعي أن أكلفك لتزورني ولكني قبل أن أبدأ القول أود أن أفيدك عن أنني قد اتخذتك كأبن وكصديق فلا مرؤوس بيننا بعد الآن ولا رئيس فإني أمنحك الصلاحية التامة وأطلق يديك بالعمل، إني قد تجاوزت الرابعة والخمسين عاما وبعد اختباري الطويل حكمت بوافر ذكائك وعبقريتك قد خلقت لمطاردة العصابات السياسية والدموية وعداؤك للمجرمين قد أصبح غريزة عندك وهذه الغريزة تتسرب في دمك، إني اعتمد عليك أكثر من اعتمادي على نفسي وبما إني أنا المسؤول أمام الوزارة فأنت المسؤول أمامي وسيصلك تفويض تام من وزارة الداخلية بمنحك الحرية التام بالعمل وبإطلاق يديك فكن أهلا لثقتي يا فريد وسأظل على اتصال تام بك وبدائرتك. أنت الرئيس والكل بالكل.

هب فريد بك فواز قائلا يقاطع رئيسه مدير الأمن العام:

- ما هذا يا إبراهيم بك ما زلت مرؤوسك وخادمك المطيع فسعادتكم أوفر ذكاء وأكبر عمرا وأطول باعا. لقد تشرفت بقدومك إلى مكتبي هذا تفضلوا أولا بالجلوس يا بك.

طوق مدير التحري رئيسه وأجلسه بكل هدوء على المقعد فقال مدير الأمن العام:

- فريد خاطبني كما يخاطب الرجل الرجل وأنبذ الرسميات فأنت خلقت لمثل هذه العصابة الجهنمية، إني ألقي على عاتقك المسؤولية كاملة غير منقوصة وسأمدك بالرجال على أن تعدني بسحقها السحق التام، إن جرائمها مبتكرة تهز كياني هزا. نعم إني أهل لكل حرب عوان مع عصابة الأشباح الحمر ولكني أقر وأعترف بأنك موهوب وموهبتك التي منحك إياها سبحانه وتعالى مخصصة لمثل هذه العصابة الدموية، إني المسؤول عن الأمن العام ولدي كثير من الرجال ولكني حتى الآن لم أتوسم بأحد الكفاءة والجدارة لمحق هؤلاء الرعاع الذين زلخوا وتمادوا باقتراف الجرائم واغتالوا صديقك الحميم جمال باشا وهاب، إنني أدين للعبقرية والمواهب فإن الله جل جلاله قد ميزك عن غيرك بالجسارة والبطولة، واخلاصك الوحيد الذي يحببني اليك ويدفعني إلى أن أسند اليك هذه المهمة الخطيرة ويؤلمني كذلك أن أرى دماء الأبرياء تهرق ظلما وعدوانا يا فريد، اعتبرني كأب واعتبرك بدوري كابن فلا

رسـميات بيننـا بعـد الآن وإذا أردت الـكلام الـصراح إنـك أهـل لأن تقـوم مقامـي وتنـوب عنـي.

- إبراهيـم بـك لقـد غـدوت أسـير ألفاظـك وغريـق صراحتـك إننـي أعـدك الوعـد الـشرف أن أقـوم بنفـسي بمطـاردة هـؤلاء الرعـاع مطـاردة مسـتمرة إلى دنـو الأجـل ولـن أحـرج موقـف سـعادتكم أمـام الـوزارة، مـن الآن أنتـم بمثابـة الأب وأنـا بمثابـة الابـن لكـم، وقـد نلـت الـشرف الرفيـع بـأن يكـون أبي مديـر الأمـن العـام وهـو رجـل مسـن موهـوب قديـر صعـب المـراس.

- فريـد إن الالتـواء بالـكلام والمراوغـة لا يجديـان نفعـا فـإن اللـه تعـالى قـد منـح كل امـرئ ذكاء والـذكاء يختلـف وهـو درجـات فـذكاؤك محصـور في هـذه المهمـة التـي أصبحـت منوطـة بـك، إننـي لا أكابـر وأعتنـق الادعـاء الافـك فلـكل رجـل مـن رجـالي ميـزة خاصـة تليـق بالعمـل الـذي يقـوم بـه فأنـا لا أسـند اليـك مثـلا رئاسـة لا تتفـق وايـاك، أمـا مطاردتـك العصابـات فهـذا مـا تنشـده لأنـك خلقـت لهـا هـل تفهـم مـا أعنـي؟

- نعـم يـا إبراهيـم بـك، إنـك عـلى صـواب فـإن مـا اشـتهيه ظهـور العصابـات لأتأهـب للنضـال والكفـاح وهـذا مـا كنـت أتـوق إليـه وأضرع إلى اللـه أن يتـم حتـى أظهـر بـدوري الجـدارة والحنكـة اللتـين احتفـظ بهـما لمثـل هـذا اليـوم المنشـود.

ابتسـم مديـر الأمـن العـام وقـال - وأنـا كذلـك قـد انتخبتـك مـن بـين رجـالي ليقينـي بكفاءتـك وبراعتـك فلنتكلـم الآن كصديقـين بإلغـاء كلمـة رئيـس ومـرؤوس.

- يـا بـك قبـل كل شيء لا تخجلنـي فقـد أصبحـت لا أتجـاسر عـلى رفـع بـصري نحـوك إن اقوالـك الانسـانية قـد تركـت أبلـغ الأثـر في نفـسي حتـى بـت مـن فـرط الحيـاء أود الهـروب مـن وجهـك.

- حسـنا ولنبـدأ الآن بـسرد مـا أتيـت لأجلـه ولكـن الحديـث عـلى مـا اتفقنـا عليـه مـن أننـا أصدقـاء، اصـغ يـا فريـد بـك لقـد أتيـت برسـالة مـن النـوع الجديـد وهـي إنـذار مـن عصابـة الأشـباح الحمـر تفضـل اقرأهـا.

تلقـف فريـد بـك الرسـالة وبعدمـا تفحـص خطهـا وتمعـن بهـا تمامـا رفـع رأسـه وقـال:

- سـأقابلها عـلى رسـالة عـثرت عليهـا في بيـت جـمال باشـا وسـأرى إذا كان خـط الرسـالتين واحـدا.

ثـم تنـاول ملفـا واخـرج منـه رسـالة وقابـل الرسـالتين عـلى بعضهـما البعـض ثـم ابتسـم وقـال:

– نفـس الخـط ونفـس الكاتـب حسـنا يـا إبراهيـم بـك هـل أرسـلت رجالـك إلى المـكان المنشـود؟

- بـدون شـك وما رأيك أنت يا فريد بأمر هـذه العصابة الجهنمية؟

- حتـى الآن يـا إبراهيـم بـك مـا زلـت أرسـم الخطـط لمهاجمتهـا والانقضـاض عليهـا بأعـواني وعـما قريـب سـترى مـن فريـد فـواز مـا يثلـج صـدرك.

- إن ثقتـي بـل ثقـة الحكومـة والأمـة فيـك لا تغلـب وأنـا رهـن اشـارتك إذا

أردت مني مساعدة ما سأكون ورجالي تحت امرتك ولا أود منك شيئا إلا محو دابر هذه العصابة والتنكيل بأفرادها وسحقها سحقا باتا إلى الأبد، فقد عاثت في الأرض فسادا وشرا وكثرت جرائمها من النوع المبتكر الحديث لقد قضت على بيت جمال باشا وكذلك تحاول القضاء على بيت يوسف بك ماجد المسكين، أترغب أن أعاونك في أمر مطاردتها. إن لدي من الرجال ما يكفي لمهاجمة ألفين من العصابات... وبعد محقها وسحقها سنجلس معا حول مائده واحدة وسنحيي حفلة تهز المدينة بأسرها كل ذاك إحياء لما قمنا به نحو الانسانية من جليل الأعمال، أما إذا كان الفشل نصيبنا فاني سأقدم استقالتي أيسر لي من أن تسلقني الألسن وتنسبني الأمة إلى قصر الباع والعجز، هذه الأمة التي تعلق أمانة في عنقي وفي المحافظة على الأرواح وعلى الأمن العام. إني مستعد أن أمدك يا فريد بك بأنشط رجالي وأقدرهم وأن أسخر لك قوات البوليس في سبيل المثل العليا والدفاع عن الناس وعن الأملاك والأعراض. سأستمد قوة هائلة من رجال البوليس من عدة مدن كالإسكندرية وأسيوط وغيرها ولا أرضى بالانهزام مع رعاع من الملأ سفاكي دماء شعارهم ارهاب الشعب الآمن والعمل على اضطرابه واقلاق راحته، إني المسؤول عن الأمن العام لن أتغاضى ولن أتهاون سأستميت في الذود عن الأرواح لكي أبخبخ مطمئن البال قرير العين هادئ الحجى.

هل رجالك أكفاء يا فريد بك لنتحدث بصراحة تامة إننا أصدقاء والمصلحة قد حتمت أن نتآخى ونتماسك ونتضامن فوق الصداقة،

حدثني بنزاهة يا صاح إني مرتاب بل وأشك في مقدرة رجالك فإن معاونك توفيق حسام نحيل الجسم لا يصلح لمثل هذه المهمة الشاقة.

ضحك مدير دائرة التحري فريد بك فواز وقال بهدوء:

- إنك تود أن تقول بصفتك مدير الأمن العام أن معاوني صعلوك يا إبراهيم بك ولكنك واهم إن هذا الشاب قد ناهز الثلاثين عاما وهي سن الرجولة ثم إنه من أبرع ما أنجب التاريخ بإصابة الهدف فإن رصاصته لا تخطئ الابرة الدقيقة تأمل، ثم إنه كالنمر الطريد خفيف الحركة مخلص للغاية. غامر جسور لا يحسب حسابا للدهر والأيام، لقد انتخبته معاونا لي لتهوره الجنوني ومجازفاته الخطيرة، والأنكى إن أعواني شديدو الاعتقاد بالمقدر والقضاء والقدر والموت والحياة عندهم سيان وأعوان من هؤلاء الطراز يعتمد عليهم جد الاعتماد في كل الأمور، أما رجالك يا إبراهيم بك فهم على وتيرة بقية الرجال يخافون على نفوسهم ويحسبون حسابا للموت ويقدرون أرواحهم بقدر وفير وثمن فاحش، هؤلاء لا يصلحون لي ولا يقومون بمهمات عسيرة محفوفة بالمخاطر وأنا أراهم لا يليقون بي ولا أليق بهم.

أما من جهة الانذار فدع رجالك في أماكنهم يرقبون قدوم أي فرد من الأفراد بل لا يترددون في إطلاق النار على القادم إذا أبى التعريف عن نفسه والانصياع إلى الأوامر الصادرة منهم، وعليك أنت بالتردد عليهم وكبسهم مباغتة حتى لا يتوانوا بالسهر والمراقبة، وإذا رأيت أن من الضرورة مواجهة يوسف ماجد في بيت داود باشا مرزوق فلا تتوان،

أما أنا فإني سأرصد رجالي متى عادوا بعد ساعة تقريبا وسأبثهم وعلي تتمة الخطة المرسومة إنني مرؤوس لك يا إبراهيم بك.

- إنه لا رئيس ولا مرؤوس الآن إني أتخذك كولدي وصديقي أنت مفوض بكل شيء.

- لقد اتفقنا إذا سأذهب وأمر على بيت داود باشا كم الساعة الآن؟

ثم استل ساعته من جيبه وإذا بها العاشرة والربع مساء وما كاد يعيد الساعة إلى مكانها حتى رن جرس التليفون فتناول مدير دائرة التحري السماعة ثم ما لبث أن وقف يغلي كالمرجل وقال:

- ماذا ماذا أن المدير إبراهيم بك هنا، جريمة قتل شنيعة في حي الصاغة وقعت الآن وقد حصلت بفضل عناية الأشباح الحمر.

ماذا تقول؟

وضع مدير التحري سماعة التليفون وقال بصوت يتبين منه الوعيد وقد كشر عن أنيابه يحادث زميله

- حصلت الآن جريمة قتل في حي الصاغة والجاني العصابة الممقوتة، والله سأهشم رؤوس أفرادها سأصطلم شأفتهم سأدك معالمهم سأسحقهم إلى الأبد، سآمر بإحضار قصاص الأثر على الفور وسأذهب برفقتك بعدما أترك أمرا سريا إلى أعواني متى عادوا.

ثم ترك المدير أمرا جفريا على طاولته وخرج مع زميله يهبطان الدرج بسرعة وبريق الانتقام يلمع في عينيها كالشرر.

* * *

كان رجال البوليس وعلى رأسهم ثلاثة ضباط قد فرقوا الناس المحتشدين على باب دكان في حي الصاغة حين أقبل ملكا البوليس، ففسح لهما البوليس طريقا للمرور فوجدا جثة صاحب الدكان معلقة بحبل من العنق وقد خرجت العينان من محاجرها والوجه مشوه تشويها تشمئز منه النفس وتقشعر له الأبدان، فأمر مدير الأمن العام بحل الجثة ولما عمل أحد الضباط على قطع الحبل هوت إلى الحضيض بحالة يرثى لها، فتقدم المديران يفحصانها وقد جسا النبض فاذا به قد همد ثم أجالا الطرف في الخزائن الزجاجية وأمعنا النظر والضابط يرافقهما فوجدا كميات من الذهب كالخواتم والأساور قد فقدت وقد بعثر اللصوص الأحجار الكريمة والفصوص والأواني الفضية والنيكلية.

وعلى الاثر أقبل الضابط برجل وقال - يا سيدي إنه قصاص الأثر.

- حسنا ليسرع إلى تعقب الجناة ألم يكن أحد بالحانوت حين سطا اللصوص عليه؟

- نعم يا سيدي كانت هذه الفتاة وهي التي أعلمت الدائرة، إنها المخبر بالحادث.

فقال فريد بك لزميله لنذهب بها إلى المركز ونعمل على نزع الحقيقة

مـن بـين شـفتيها وعـلى الاثـر أشـار المديـر إلى أحـد الضبـاط قائـلا:

- إنـا ننتظرك في المركـز اصحب معك هذه الفتاه فلا تتوانَ.

أدى الضابـط التحيـة العسـكرية ثـم غـادرا المديـران المـكان والوجـوم يكتسـحهما اكتسـاحا أليـما، ومـا كادا يدخـلان مركـز البوليـس حتـى وجـدا الضابـط والفتـاة في انتظارهـا وقـد تقـدم الضابـط بالملـف قائـلا:

- يا سـيدي هذه هي إفادة الآنسة.

وضـع المديـران أمامهـما في المكتـب ملـف الأوراق ورفـع فريـد بـك رأسـه سـائلا الفتـاة:

- اجلسي أولا يا آنسـة، ما هو اسمك؟

كانـت الفتاة مضطربة والذعر يبدو في وجهها مسـتعدة فأجابت:

- اسـمي منيرة رازق يا سيدي.

فاسـتطرد فريد بك - أسردي علينا ما رأيت في هذا الحادث يا منيرة!

- بينـما كنـت يـا سـيدي في المحـل أقبـل رجـلان يرتديـان المعاطـف السـوداء ويـدل مظهرهـما عـلى أنهـما مـن أهـل السـعة والجـاه، فدخـلا المحـل وتقدمـا مـن صاحبـه عبـد اللـه عـراف فشـهر أحدهـما مسدسـه الضخـم فارتـاع معلمـي وتملكـه الجـزع أمـا أنـا فأمـرني الآخـر بإقفـال البـاب والنافـذة ففعلـت مرغمـة وأنـا انتفـض واهتـز وارتجـف ثـم صـوب مسدسـه إلى صـدري ودفـع فوهتـه في معـدتي فشـعرت بـدوار في راسي وكـدت أفقـد

الوعـي والصـواب بـل وشـعرت بفوهـة المسـدس الضخـم تخـترق أمعـائي وهـو يضغـط عليـه وقـررت أنـه سـيطلق النـار بـين لحظـة وأخـرى وسـأموت في لمـح البـصر فزعـت مـن الخـوف ووهنـت قـواي فاستسـلمت للقنـوط واليـأس وقطعـت الرجـاء مـن الحيـاة فسـقطت في شـبه اغـماء فرأيـت أني في الرؤيـا أحدهـما ينقـض عـلى معلمـي عبـد اللـه عـراف وينهـال ضربـا بمسدسـه عـلى رأس صاحـب المحـل الـذي هـوى والدمـاء تنـزف مـن رأسـه الـذي شـجته تلـك الضربـات بحديـد المسـدس، ثـم قبـض أحدهـما عـلى معلمـي وحملـه بينـا وضـع الآخـر حبـلا في عنقـه وعلقـه بسلسـلة الثريـا التـي هـي في وسـط المـكان معلقـة في السـقف، وبعـد ذلـك سـلب اللصـان مـا وقعـت عليـه أيديهـما مـن الذهـب والخواتـم والأسـاور ومـا شـاكل وغـادرا المـكان والسـاعة تنـذر بالسـابعة مسـاء وأنـا بـين شـبح.

فقـال توفيـق حسـام المعـاون - هـذه هـي الرسـالة الثالثـة سـأتركها لفريـد بـك ليضمهـا إلى الرسـالتين في الملـف الخـاص، إن الحـرب قـد بـدأت بيننـا ولـن تضـع أوزارهـا إلا بعـد أن نعمـل عـلى محـق العصابـة محقـا تامـا ونشـتتها إلى الأبـد.

أمـا سـليم صابـر فإنـه تقـدم مـن حديقـة داود مـرزوق ومـا كاد يدنـو مـن السـور حتـى ارتفـع صـوت الضابـط يـدوي في هـدوء الليـل - قـف، فوقـف ولمـا قاربـه الضابـط قـال لـه بصـوت الأمـر وهـو يشـهر عليـه مسدسـه - مـن أنـت ومـا هـو اسـمك؟

- اسمي سليم صابر صف ضابط في دائرة التحري ورئيسي اسمه فريد بك فواز وقد أتيت لأسألك عما إذا كنت بحاجة إلى مساعدتي كما أمرني بذلك مديري ورئيسي.

- أعطني من فضلك أوراقك الرسمية لأن كثيرين يتذرعون بنفوذ هذا المدير أو ذاك ويقترفون الجرائم تحت هذا الادعاء.

ومد سليم صابر يده إلى جيبه وأخرج تذكرته الشخصية فلما تفحصها الضابط على نور مصباحه الكهربائي قال باسما وهو يعيد إليه التذكرة:

- عفوا يا سليم أفندي عساي أكون قد ازعجتك وأحرجت موقفك.

- هذا ما يسرني لأنك تعمل ضمن القانون وقد تراءى لي أنك يقظ على وظيفتك هل أنت بحاجة إلى شيء؟.

- إني لست بحاجة إلى أحد حتى الآن فأنا كفوء لمهاجمة اللصوص جميعا.

- هل قدم أحد أو هل ارتبتم بإنسان ما؟

- هذه وظيفتي أنا وغدا سأقدم تقريري لرئيسي أنا الآخر، فهذا يخصك ولا يعنيك.

- حسنا ستعلم من أنت ومن أنا غدا إن شاء الله.

قال سليم هذا ودار على عقبيه وما كاد يخطو أول خطوه حتى هرع الضابط ولمسه في ذراعه قائلا ضاحكا

- إني أمزح معك يا سليم أفندي فإني موقن من أنك مفوض بكل ما تود أن تجربه بتحرياتك إني رهن الاشارة يا صاح.

وابتسم سليم صابر وقال - ظننتك تتكلم الجد لا المزاح في البدء.

- لا تظن شيئا من هذا القبيل إن وظيفتك تخول لك زج نفسك في كل مكان بخلافي أنا المقيد وأنت المفوض، تفضل يا سليم أفندي وأرقب رجالي وحدث رئيسك إليك عن بسالتهم ويقظتهم إذا شئت يا صديقي.

- إن رجالات أشداء بواسل نظيرك أنت ضابطهم الشجاع الذي لا يصلح إلا لسرد القصص والحكايات وقهقه الاثنان ضاحكين ثم جذب الضابط سليم من يده وتوغلا في الجنينة يمران على الحراس اليقظين.

* * *

ظلت منيرة رازق سائرة ببطء والساعة قد أشرفت على الثانية عشرة مساء وهي تحارب النعاس والكلال لا تدري بأن وراءها فتاة في قسم التحري تغدو اثرها عن بعد، حتى وصلت شارع الخليج المصري وتقدمت من باب ونقرت عليه وعلى الاثر فتحه رجل قائلا:

- آه منيره أين كنت يا ولدي كل هذه المدة إني أراك منهوكة القوى؟

- بابا إني متعبة محطمة فإن معلمي عبد الله عراف قد شنقه لصوص عصابة الأشباح الحمر وسلبوا محله وإني آتية الآن من دائرة البوليس إني مهشمة لا أقوى على الوقوف على أقدامي.

- ماذا تقولين يا بابا هل توفي عبد الله، مسكين وماذا حل به ستصبحين بلا عمل من الآن وصاعدا يا ويلاه أدخلي يا ولدي أدخلي.

ودخلت الفتاة وأقفل الباب وسميره ترهف آذاها لكل فقرة وكلمة فدارت من الجهة الأخرى من البيت واستعانت بحجر ضخم صعدت عليه وأطلت من النافذة فرأت الأب والأم والفتاة وقد سطع المكان بالنور وسمعت الأب يقول:

- لقد حزنت لمقتل هذا الرجل الوديع القلب ألا لعن الله هذه العصابة أين رجال البوليس، إن براعتهم ومهارتهم لا تبدوان إلا بتسجيل مخالفات المرور وإرهاق الشعب بالضرائب مسكين عبدالله لقد أسفت لموت هذا الرجل الصفريت، إنه يقوم بأود بيته وأطفاله يا رباه أنقذنا من أبناء السوء ومن الأشرار، لا تخرجي من البيت يا بابا وسأحضر لك الطبيب غدا إنك مريضة يا منيرة.

وبكت الفتاه قائلة - بابا لقد تصلب شعر ناصيتي لمقتل معلمي فإن لصين أثيمين قد علاقاه من عنقه بالحبل وأنا لا أستطيع الصراخ فإن مسدس أحدهما قد كادت فوهته تخترق أمعائي، إن معلمي كان يعطف علي، إن أخلاقه العالية هي التي حببتني إليه وأرغمتني على أن أقضي مدة عامين في خدمته، إنني حين تمر على ذاكرتي كيفية موته

أشعر بيد من فولاذ تعصر قلبي، لقد حضر رجال البوليس واعترفت أمامهم بما رأيت ولو كان في مقدوري أن أسحق اللصين لما تأخرت.

- حسنا يا بنيتي أرقدي الآن في فراشك وفي الصباح سأكلف الطبيب لعيادتك إنك مرهقة الكاهل مضعضعة الحواس، ألا تريدين تناول العشاء يا بابا؟

- لا شهية لي بعد رؤيتي ذاك المنظر الشنيع المريع إنني أكاد أفقد الرشد واللب ثم أطفأ النور وسبح المكان في الظلام وهدأت الحركة تماما فتحولت سميرة نعيم عن النافذة وعادت إلى الشارع ولكنها ما كادت تخطو الخطوة الأولى، حتى رأت شبحا أحمر اللون يزحف على يديه ورجليه وهو يدنو من ماسورة قرب النافذة ثم حاول التسلق عليها، فهاب الموقف بسميرة فتقدمت ببطء وهي تحاول إخراج مسدسها من جزدانها إلا أن الآية انعكست وانقلب الشبح واثبا إلى جهتها فقد أبصرها وانقض عليها فسقط الجزدان من بين يديها وتماسك الاثنان فصفعته على وجهه بيدها صفعة حادة فدار على نفسه يئن وغفق للمرة الثانية عليها وتماسكا وتعانقا يلتحمان التحاما مرا وهو يقول - الله فتاة قوية. وما زالا في عراك عنيف حتى سقطا إلى الحضيض يتدحرجان دحرجة بعيدة، وكان الشبح ضخم الجثة قوي البنان مفتول الساعد ربع القامة، ثم بعد نضال رهيب انتصبا واقفين فقبضت على عنقه بيديها وهي لا تستطيع أن تتملكه بالقبض عليه لثوبه الناعم الأملس فكلما قبضت عليه أفلت منها ولكنها تحفزت كاللبؤة الفاقدة أشبالها ودحرته إلى الجدار تلكمه (بالبوكس) لكمات مرة عنيفة وهو

يلطمها بيديه الضخمتين اللطم الفاتك تم التحما وتدحرجا على الوطاء يتبادلان اللكمات والصفعات وتمزيق الثياب وعض الأنياب وداما على هذه الحالة برهة، ثم وقفا يكيلان لبعضهما البعض الضربات المميتة إلى أن تمكنت منه أخيرا وقبضت على عنقه بيد من حديد وطغرته إلى الجدار فأن من الألم وما برحت تضغط على رقبته فاتسعت حدقتاه وجحظت عيناه لكنه انتفض بسرعة فتملص منها لنعومة ثيابه الحمراء الملساء وكصم يسلم رجليه للريح يعدو كأن الأرواح الشريرة تطارده وعدت سميرة وراءه لكن رجلها اصطدمت بحجر ضخم وعثرت فسقطت إلى الحضيض تئن وتتوجع، ولكنها مضت بسرعة وعادت إلى جزدانها فاستلت مسدسها تحوم حول المنزل فلم تر أحد فعادت إلى الشارع وهي تلهث بقوة وما كادت تسير إلا القليل حتى برز لها غفير قائلا لها بصوت داوٍ:

- يا سيدة إن المسدسات في الليل لا ضرورة لها أين الرخصة؟

وقفت سميرة وهي ممزقة الثياب منبوشة الشعر تلهث فلما دنا منها صاح مذعورا:

- ما هذه الحالة الرثة يا ست الملاح أنت حسناء ولم هذا الزي الرث.

فصاحت بصوت الأمر - ويحك مع من تتكلم ستعلم فيما بعد من هي التي تخاطبك ثم تابعت سيرها غير آبهة له فأسرع إليها وقال: يا سيدتي.

- إني آنسة وسيطالبك غدا مديرك إبراهيم بك شجاع وستدفع ثمن تهكمك وسخريتك غدا أيها الطناز وما كاد يسمع الغفير بكلمة إبراهيم بك مديره حتى بسط يديه متوسلا وقال بصوت الضراعة:

- أيها الآنسة إني مستعد لنصرتك ومساعدتك من أنت أولا؟

- ستعلم غدا من أنا،، ألم تر شبحا أحمر اللون يمر من هنا؟

- لم أر إلا شبحا غامق اللون هو أنت يا آنسة إني أراك لا تعيرين قولي اهتماما، فإما أن تبرزي رخصة المسدس أو أن أسوقك إلى دائرة البوليس.

ما كادت سميرة نعيم تنشر رقعتها على ضوء المصباح الكهربائي الصغير الذي يحمله الغفير بيده حتى هب قائلا:

- يا رباه أنت من أعوان فريد بك في قسم التحري أنستي عفوا هل أنت بحاجة إلى مساعدة؟

- غدا سأرد عليك تماما أمام مديرك في مكتبه الخاص.

وتوسل الغفير دون جدوى فتركته وأوفضت بالمسير تعود من حيث أتت غير مكترثة لصوته الذي يدعوا إلى الاشفاق والعطف.

الفصل الخامس
الاغتيال

كان فريد بك فواز على مكتبه يراجع التقارير المنشورة أمامه على الطاولة، ولما انتهى من مطالعة الأوراق تناول كتابا وضعه في ملف خاص ثم ضغط على زر كهربائي صغير فقرع الجرس في الخارج وعلى الاثر أقبل بوليس يرتدي الثياب العسكرية فقال له:

- ناد لي توفيق أفندي حالا - انصرف البوليس وبعد قليل أقبل المعاون فحيا باسما، ثم جلس قبالة مديره والذي قال:

- يا توفيق لقد درست التقارير كلها فإن حادثة الشنق وقعت حسب اعتراف منيرة رازق زهاء السابعة من مساء ١٥ ابريل سنة ١٩٣٠، ومن هذا نستنتج بأن مدة الغيبوبة التي وقعت فيها منيرة قد استغرقت ساعتين ونصف الساعة على أقل تقدير إذا لم نقل ثلاث ساعات ونصف الساعة، ثم إن رجال عصابة الأشباح الحمر لا يرتدون الثياب الحمراء شعار لهم في كل آن، فنرى مثلا أن رجلين دخلا حانوت المغدور عبد الله عراف وهما يرتديان المعاطف السوداء ومن هذا يظهر لنا دليل ناصع على أن أفراد العصابة لا يتقيدون بزي من الأزياء، فهم باشاوات وبكاوات وأفنديه وصعاليك ورعاع في آن واحد وذلك للملابس التي تكسو أجسامهم ومن اللباس يتخذون العدة للهجوم حتى لا يرتاب أحد بشخصيتهم الحقيقية بخلاف ما قرأت في تقرير مساعدتي سميرة فإنها تقول أنها رأت شبحا أحمر اللون وتعاركت معه ولولا ثوبه الأحمر الأملس لتمكنت من البطش به بطشا ذريعا، وكذلك لم

يسلك سمعها ما يثير الشبهات حول منيرة رازق، والغفير الذي حاول مداعبتها سيكون له شأن مع مديره فقد بلغت إبراهيم بك بالحادث، أما سليم صابر الصف ضابط فقد حاول الضابط المكلف بحراسة حديقة داود مرزوق صده وابعاده ونسب بعد ذلك أقواله التي قام بها إلى المزاح ولكن القانون لا يتحمل المزاح مع الأسف فقد بلغت مديره أيضا، أما عثورك أنت يا توفيق على الكتاب في حي الصاغة فخطه ينطبق تمام الانطباق على خط الكتابين الأولين، والضابط الطناز صاحب المزاح والفكاهة قد قدم تقريره ينبئ أنه لم يرَ هو أو أحد رجاله رجلا ما يمر من تلك الناحية أو يدخل حديقة داود مرزوق سوى سليم صابر مساعدي، وطبيب المستشفى الحكومي بعد التشريح يقول في تقريره بأن ضربة حادة من جسم صلب أصابت رأس المغدور عبد الله عراف وسببت له ارتجاح في المخ وشجت الرأس ثم إن الشنق قد قضى عليه فورا فإن الحبل كان دقيقا ومتينا كوتر العود فقد حز بالرقبة ومزق الجلد ونفذ إلى الشرابين. فأقوال المخبر منيرة رازق كانت صحيحة بحذافيرها على أن اللص قد ضرب معلمها بالمسدس على جمجمته والآن لم يعد أمامنا إلا الوقوف على غوامض هذه الأسرار، أولا ما هو السر الذي من أجله أطلقت العصابة العيار الناري على جمال باشا وهاب صديقي الحميم، وما الذي حدا بالعصابة إلى شنق عبد الله عراف وإلى إرسال الانذار إلى يوسف ماجد هل فهمت مغزى أقوالي يا توفيق؟

- بدون شك يا بك إنك محق فإن اقتراف الجرائم لا تحصل إلا من

أسباب ودوافع فمثلا أود أن أقتل شخصا فيجب ان يكون بيننا عداء بليغ أو سبب يبرر الاقدام على قتله، ولكن يا سيدي ما العلاقة بين العصابة والضحايا، فلا أجزم بوجود صلة بين الطرفين لعدم التناسب والتوازن فإن جمال باشا منعم موسر وافراد العصابة لصوص أوباش لا ضمير لهم.

- إنك على ضلال مبين يا توفيق فلو لم تكن علاقة ذات شأن بين العصابة والضحايا لعم القتل كل مكان ولما ترددت العصابة عن قتلي وقتلك وقتل كل امرئ في الطريق، إن العصابة تنتخب ضحاياها انتخابا لا بمجرد الصدف يا صاح وعلى كل فسأتصل بدائرة السوابق والشخصيات وأعثر على هذا الكنه المبهم، وأنت عليك أن تطلي وجهك بالدهون الملونة وتغشى الأمكنة المحظورة والغير المحظورة للوصول إلى الهدف والعثور على أفراد العصابة.

- ولكن يا سيدي أين سليم وسميرة هل أذهب بمفردي؟

- بمفردك بدون شك إن سليم وسميرة عند مساعد مدير الأمن العام فهيم بك لمحاكمة الضابط والغفير.

* * *

في دائـرة البوليـس كان يجلـس مسـاعد المديـر فهيـم بـك سـليمان وأمامـه يقـف الغفـير وسـميرة نعيـم وكانـت سـمات الكآبـة تعلـو وجـه الغفـير الـذي قـال لـه مديـره بصـوت الأمـر:

- إنـك قـد خالفـت القانـون لعـدم مسـاعدتك هـذه الآنسـة وهـي تطـارد رجـلا مـن رجـال العصابـة تـم لتشـدقك بألفـاظ غـير أدبيـة كقولـك لهـا يـا سـت المـلاح، ولذلـك فأنـا أود توقيفـك تحـت تهمـة اشـتراكك بالجريمـة، مـع رجـال عصابـة الأشـباح الحمـر ومـن الآن سـتفقد حزامـك وتتوقـف عـن العمـل.

وفغـر الغفـير فـاه وبسـط يديـه قائـلا بجـزع - سـيدي إني لم أشـترك بجرائـم مـا، إنـك تظلمنـي بهـذا الحكـم الصـارم إن الآنسـة لم تطلـب إلي مسـاعدتها، لمـاذا مأسـت عـلي يـا بـك؟

كان الواجـب عليـك أن تبـادر أنـت مـن تلقـاء نفسـك إلى شـد أزرهـا أخـرج فأنـا لا أرغـب سـماع دفاعـك الزائـف.

ودار الغفـير عـلى عقبيـه وأدى التحيـة العسـكرية منصرفـا وبعـد انـصراف سـميرة نعيـم دخـل سـليم صابـر والضابـط الـذي مـا كاد يـؤدي التحيـة العسـكرية حتـى زمجـر المسـاعد قائـلا بحـدة:

- أنـك تتخـذ المـزاح شـعارك في ظـروف حرجـة دقيقـة ولذلـك فأنـت لا تصلـح لأمـور الجـد والكفـاح وسـأعمل عـلى توقيفـك انتظـارا لمحاكمتـك.

حـاول الضابـط الـكلام فزجـره المسـاعد وأمـره بالانـصراف ولمـا أصبـح الجميـع في الخـارج قـال الغفـير بصـوت كلـه التوسـل والضراعـة:

-- يـا آنسـة هـل تريديـن أن أفقـد وظيفتـي وأن أسـجن وأنـا أقـوم بـأود ثلاثـة أطفـال وامـرأة؟

تأثـرت سـميرة وبـان الحـزن في محياهـا فقالـت - لقـد حزنـت لموقفـك سـأتصل بفريـد بـك واتوسـل إليـه حتـى يعمـل بمـا لديـه مـن نفـوذ لـدى رئيسـك عـلى بـراءة سـاحتك وانقـاذك. فقـال الضابـط:

- وأنت يا سـليم أفندي لم أكن متوقعا أن تتقدم بشـكواك هذه.

- سـأعمل أنـا الآخـر عـلى خلاصـك مـن هـذا الموقـف الحـرج ولكـن بـشرط الا تعـود إلى المـزاح معـي وخصوصـا في المواقـف العصيبـة مـرة أخـرى.

- لقـد طلقـت المـزاح إلى الأبـد يـا سـليم أفنـدي ولـن أمـزح بعـد الآن عـلى الاطـلاق.

فقـال الغفـير - ولكـن سـعادة فهيـم بـك أنـذرني بـأن يخلـع منـي الحـزام الجلـدي فالمسـألة يجـب الاسراع فيهـا قبـل فـوات الأوان.

فأجابـه سـليم - سـنعود بسرعـة ولا تخـش أمـرا وحـين وصولنـا سـيمنحك مديـرك الحريـة ولا تتعـرض لـلأذى.

غـادر سـليم وسـميرة دائـرة البوليـس مودعـين وحـين تلاقيـا بمديرهـا فريـد بـك هتفـت الفتـاة قائلـة إلى رئيسـها:

- أرجـوك يـا فريـد بـك أن تتصـل بمديـر الأمـن العـام إبراهيـم بـك حتـى لا يـسيء مسـاعده إلى الغفـير والضابـط فـإن الأول يقـوم بـأود ثلاثـة أطفـال ومـن الجـوز أن نظلمـه يـا سـيدي.

ابتسـم فريـد بـك وقـال - إن قلـوب النسـاء رقيقـة تعـرف الشـفقة والحنـو والرحمـة هـل تنازلـت عـن حقـك؟

- لقـد تنازلـت يـا بـك رحمـة بهـذا الغفـير الفقـير لقـد أثـرت أقوالـه في قلبـي وآلمتنـي جـد الألم.

وقـال سـليم - وأنـا كذلـك أود التنـازل عـن حقـي حتـى لا يصـاب الضابـط بـأذى مـن جـراء غضـب مديـره عليـه.

ضحـك فريد بك وتناول سـماعة التلفون وبعد برهة وجيزة قال:

- هالـو.... إبراهيـم بـك إن الرحمـة دبـت في أفئـدة أعـواني سـليم وسـميرة كـما لا يخفـاك عـن قلـوب النسـاء اللينـة ولذلـك فقـد تنـازلا عـن حقهـما ويرجـوان مـن حضرتكـم عـدم التعـرض للضابـط والغفـير... مـاذا حسـنا لقـد اتفقنـا سـيأتيان لطلـب المسـامحة حسـنا برافـو.

تـم رفـع المديـر رأسـه وقـال - لقـد تكـرم سـعادة إبراهيـم بـك ولبـى طلبكـما بـشرط أن يـأتي الضابـط والغفـير لطلـب المسـامحة منكـما.

فهتفت سميرة نعيم قائلة - كم أنت طيب السريرة يا بك إنا نشكرك على اهتمامك بنا يا سيدي. فقال فريد بك

- يا سميرة لقد سرني دفاعك المجيد وشجارك مع الشبح الأحمر الزنيم، ولكني يا ولدي أنا المسؤول عنكم وأنا لا أرغب أن يتعرض أحدكما للخطر وخصوصا أن أفراد هذه العصابة من شر أهل الدهاء والمكر لا يتورعون عن سفك الدم والبطش بكل إنسان، فلو كنت رجلا لهان الأمر ويجب أن تتخذي الحذر دأبك دائما وألا تهاجمي امرأً ما إلا برصاص مسدسك، نعم لقد منحك الله سبحانه وتعالى القوة الجسمانية ولكن للقوة حدودا فإن اللص لا يعرف معنى للإنسانية ولا يفقه مغزى كلمة ضعيف إنه لا يفهم إلا قتل ضحيته والتشويه بها والتمثيل بأعضائها، ومن الآن فصاعدا لا أسمح لك بالانقضاض على أحد وأنت بمفردك. إن مهمتك مقصورة على نقل الأخبار واعلامي لا أكثر ولا أقل وأن تحيكي الشباك حول اللصوص للإيقاع بهم لا أن تعملي على محاربتهم والعراك معهم وإياك بعد الآن أن تذهبي إلى محل إلا وسليم برفقتك هل تفهمين ما أعني يا ابنتي؟

- إني أشكرك يا بك لحميتك وغيرتك ولكني أود أن أظل برفقة توفيق حتى أتمكن من حمايته.

تبادل المدير وسليم النظرات فقال لها الأول - كما تشائين مع توفيق كما تريدين وأنا وسليم سنظل بجوار بعضنا البعض إذا.

وعلى الأثر أقبل بوليس يخبر المدير بأن الضابط والغفير في الانتظار، خرج سليم وسميرة وتصافح الأربعة، اثنان يعتذران ضاحكين واثنان يتقبلان العذر باسمين.. والغفير يقول لسميره - في المرة الأخرى سأقفو أثرك من جهة إلى جهة ومن مكان إلى آخر حتى أصونك وأتمتع بمرآك الخلاب.

واستطرد الضابط - وأنا سأظل وراءك أرقبك حتى لا نهمل أمرها وأمر سليم أفندي فإن الاثنين هما عندي بمنزلة الحبيب الجذاب فلا أدعهما لك وحدك.

وقهقه الأربعة ضاحكين وعادوا إلى المصافحة من جديد مودعين.

* * *

كان أفراد الأسرة مجتمعين حول مائدة العشاء في اليوم التالي فقال داود مرزوق:

- لقد ذهب عبد الله، عراف المرحوم ضحية هؤلاء الوحوش الآدمية وهم أفراد عصابة الأشباح الحمر والله إنهم أشباح لقد انطبق هذا اللقب عليهم انطباقا تاما.

ولما علموا بسهر البوليس واحتياطه لم يحضر أحد منهم إلى المكان المعين وأخذ المال، إنك يا يوسف يا ولدي قد أصبحت بمنجاة من الخطر الآن فقد اتجهت أنظارهم إلى سواك والحمد لله، نعم أني متأثر لأننا جميعا في إنسانية واحدة ولكل شخص أهل يبكونه ويذرفون

الدمـوع عليـه، وقـد كنـت في المأتـم فـكان موكـب جنـازة المغـدور عبـد اللـه يفتـت القلـوب وقـد احتاطـت دوائـر البوليـس للأمـر فكانـت سـيارة مصفحـة تسـير في المقدمـة وسـيارة أخـرى نظيرهـا تسـير في المؤخـرة، لا بـأس سـيأتي ذاك اليـوم الـذي فيـه سـيدفع رجـال العصابـة الثمـن غاليـا وغاليـا جـدا، فـإن أرواح المـلأ ليسـت بالرخيصـة عـلى ذويهـم وإني أسـأل اللـه أن يمـد يـد المعونـة إلى أربـاب الحميـة ويعمـل عـلى سـحق الأشرار وتبديـد رجـال العصابـة وتشـتيتهم ومحـو اسـمهم وذكرهـم، فقالـت امرأتـه

- يـا داود إن رجـال البوليـس حـين يـرون بـأن خصمهـم عنيـد عـرد سـيكفون عـن مطاردتـه، وكذلـك الحكومـة تهمـل أمـره وتتناسـاه أليـس كذلـك؟

ولمـع بريـق خاطـف في عينـي داود باشـا مـرزوق وقـال بصـوت كلـه الحميـة والوعيد:

- مـاذا تقولـين يـا شـفيقه إن الحكومـة تتنـاسى العصابـة بمعنـى أنهـا ترمـي سـلاحها أمـام رجـال مـن الأوبـاش الأشرار، مـا هـذا الهذيـان إنهـا واللـه سـتظل لهـم بالمرصـاد ليـل نهـار وسـتبث رجالهـا وأعوانهـا في كل مـكان حتى تظفـر بهـم آه لـو تعـثر عـلى فـرد مـن أفـراد العصابـة لـرأى امامـه اللطـم والـضرب والبصـق والصفعـات وآلات التعذيـب فيحطمونـه ويهشـمونه ولا يكفـون عنـه إلا بخمـد أنفاسـه، الحكومـة تظهـر عجزهـا أمـام الصعاليـك الأردياء سـفاكي الدمـاء؟ إنـك واهيـة يـا شـفيقة إن رجـال الحكومـة مـن الجنـس البـشري مثـلي ومثلـك يتحمسـون ويلتهبـون بالحميـة فـإن دماءهـم تغـلي كالمرجـل للقبـض عـلى رجـل واحـد مـن رجـال العصابـة، وبعـد ذلـك

تعلم العصابة نفسها أمام من هي ومع من تشهر حربها العوان ومن هي الحكومة وما هو القانون، فإن أعواد المشانق تنتظرها بفارغ الصبر والاعدام نصيب رجالها بلا مراجعة. فقالت أمينة:

- بابا هل ترى من الواجب عودة يوسف خطيبي إلى بيته في الوقت الحاضر.

- لا يا بابا ليظل هنا فيتعزى بوجودنا حوله حتى يتلاشى ذكر هذه العصابة ولا يعود أحد يذكر اسمها.

فقال يوسف ماجد الخطيب - هل أفهم من هذا أني سأظل ههنا إلى أجل غير معين؟

- وإذا ظللت يا عماه إنك بمثابة ولدي جبر هل من مانع بقائك بين ظهرانينا، فإن خطيبتك بجوارك وماذا تتطلب من بيتك؟

فقالت أسمى ماجد:

- ما ليظل أخي يوسف هنا أما أنا فقد أوصيت الخادمة بالمنزل وأود الآن العودة لتنظيفه وترتيبه.

فقالت أمينة مرزوق الخطية - أنت حرة يا أسمى ولكن أبي لا يسمح ليوسف بمغادرة المكان قبل أن ينجلي الموقف.

فقال أبوها - هذا مما لا ريب فيه والأولى أن تظلي يا أسمي بإزاء شقيقك فإن في هذين اليومين سيظهر كل شيء بجلاء، فإن أخاك لو

بـارح هـذا البيـت وفارقنـا فـإن أفكارنـا سـتضطرب ولا يرتـاح ضميرنـا فنجسـم الأمـر ونضخمـه والانسـان ميـال بطباعـه إلى أفـكار السـوء أكـثر مـن ميلـه إلى أفـكار الخـير، ولا نطمـئن وهـو بعيـد عنـا وكذلـك أنـت فإنـك لا تطمأنـين وشـقيقك بعيـد عنـك.

فقـال جـبر - ألا يسـتطيع مديـر البوليـس بـث رجالـه في كل ناحيـة وفي كل ركـن مـن أركان المدينـة يـا أبتـاه؟

- مـن قـال لـك أن مديـر البوليـس لم يـأت هـذه الرقابـة الدقيقـة فـاذا كنـا نحـن نفكـر وبحسـب ونجمـع ونطـرح فـإن دوائـر البوليـس يقظـة لا تفوتهـا بـادرة مـن هـذا النـوع، كونـوا مطمئنـين يـا أولادي فـإن اللـه جـلا جلالـه قـد فـوض الحكومـة بحمايـة الأرواح وصـوت الحكومـة هـو صـوت اللـه عـلى الأرض.

* * *

بعـد العشـاء تلاقـى يوسـف بخطيبتـه فتبـادلا الابتسـامات فدنـت منـه أمينـة قائلـة بصـوت ناعـم كالقيثـارة:

- يوسـف لقـد زال الخطـر والحمـد للـه إنـك هنـا في مأمـن مـن كل اعتـداء ومـن كل اغتيـال، لقـد حدثتنـي أمـي بصراحـة تامـة أن عقـد قراننـا سـيتم في القريـب العاجـل وأن والـدي يحبـك وبـودك وده لأخـي جـبر، وقـد رثى لحالتـك واعـترف بأنـك عـلى حـق بـكل مـا تفعـل فإنـك وحيـد بيتـك ومـن العسـف أن تظـل أعـزب وبـدون نسـل أو ذريـة، وإن والـدي سيشـمر عـن

ساعد الجد ويدير الأمر بمعرفته يوسف ألك ثقة بأبي؟

- إني أتخذ في شخص والدك أبا لي وإنني اعتمد عليه في الملمات فإن بيت الرجال لا يثمن بثمن وخصوصا إذا كان هذا البيت يضمر الحب والاخلاص للصهر والخطيب، إني أحبك نعم ولكن رغدي وسروري أعم وأعظم لدى وثوقي من أن هذا النسب قد أتى لمصلحتي فقد وجدت من ألتجئ إليه واحتمي به ومن يفتح ذارعيه إلى ضمي وعناقي، هذا هو الحب الحقيقي يا أمينة فلا يسعني أن أسرد لك ما شملني من الفرح حين وجدت من يؤازرني ويعاضدني فقد أوجد لي الله من استند على ذراعيه وأن يحوطني بحنانه وحبه، إن الحامي هو الله ولكن للرجال شأوا فالوحيد بين الناس كالمقطوع العضد والأزر فإذا ما حل ألم برأسه فإنه لا يجد من يقوم بالعناية به. نعم أن أختي أسمى تحبني ولكن الرجل رجل في كل آن مهما كانت صفات هذا الرجل وميزاته وإن يكُ صعلوكا أو طيفا، إن بيتك بيت رجال يا أمينة وإن عائلتك ضخمة بخلافي أنا إنني كريشة في مهب الرياح وفي أقل من لحظة سينقرض بيتي وأصبح نسيا منسيا بل أغدو أثرا بعد عين، إني أتخذك ليس كخطيبة الآن أو كزوجة في المستقبل فحسب بل أتخذك كنصير لي وغوث بفضل الله وأنعامه الذي أوجد لك رجالا هم لي بمثابة الرئة يعطفون علي ويحبوني.

تأثرت أمينة وانحدرت دمعتان من عينيها على وجنتيها من فرط تأثرها فقالت له بحزن عميق:

- يوسف إنك لست وحيدا إن الكل سيعمل على نصرتك ورفع الضيم عنك إنهم يحبونك حبا مبرحا وذلك لسمو مكارمك ونبل أخلاقك وحسن خصالك إنك نادر المثال وديع القلب نقي السريرة وأبذل ما بوسعك حتى لا تضطهدني وتؤلمني فإن حبهم عند ذاك سينقلب بغضا بل وبالا وسخطا.

- هذا بدون شك سأتحمل مضض جورك إذا لا سمح الله حاولت استغلال الموقف ولن أبادرك بسوء ليس خوفا من رجالك بل احتراما لهم وحبا فيهم.

- برافو يا يوسف إنك وافي الادراك أتدري ما تطلب المرأة من بعلها إنها لا ترجو إلا أن ينزل على مطالبها ويعاملها معاملة إنسانية.

- بدون شك وأن تتخذه مطية فتعلو ظهره وتسير به إلى أي مكان تشاء.

- أنت واهم أما هذه الصفات فلا تتصف بها المرأة الفاضلة المادية إن المرأة المهذبة الأصيلة ذات الآداب فإنها تعتز بزوجها وتعمل على احترامه وطلب رضاه.

- وإن الرجل يرحب بهذه المرأة الفاضلة التي تتغالى بزوجها وتحترمه فإنه يفدي نفسه في سبيل اسعادها وراحتها ويبذل المستحيل حتى تصبح حياتها جنة الفردوس والنعيم بذاته. إن الرجل لا يؤلمه ويبلبل أفكاره ويجعل الدم يصعد إلى رأسه فتصيبه الهستيريا والحمى إلا عناد

امرأتـه وازدرائهـا لشـخصه والعمـل عـلى نكايتـه وسـخطه، فإنهـا عنـد ذاك تصبـح شـغله الشـاغل ويشـعر كأنـه مغلـول اليديـن لا يسـتطيع امتـلاك الـروع فـإن حيـاة النكـد الزوجيـة تقـصر عمـره وتقصـف أيامـه، بخـلاف المـرأة الرضـوخ فإنـه يعبدهـا ويقدسـها ولا ينقطـع عـن التفكـير في سـبيل رفاههـا بـل ويزيـد نـدى فيتخذهـا اتخـاذ الرفيـق لحياتـه والصديـق إلى المـمات.

وفيـما كان الخطيبـان يتجـادلان عـلى انفـراد اقبلـت الأم شـفيقة تنذرهـا بـأن أهـل البيـت سـيقضون السـهرة في غرفـة الصالـة وغـير مسـموح لأحـد مغـادرة المنـزل هـده الليلـة.

* * *

كانـوا جميعـا في غرفـة الاسـتقبال يتمازحـون ضاحكـين حـين قرعـت السـاعة تنـذر بالتاسـعة ليـلا، ومـا كادت تنتهـي مـن دقتهـا الأخـيرة حتـى دوى الرصـاص فاهتـز المـكان ووقـف البعـض مذعـورا وكذلـك سـقط البعـض الآخـر إلى الحضيـض وعـم الـصراخ المـكان فقـد سـقط يوسـف ماجـد الخطيـب مضرجـا بالدمـاء يـئن فقـد اخـترق الرصـاص صـدره ورأسـه، فهبـت أختـه تمعـط شـعرها وتصلـق ومزقـت خطيبتـه ثيابهـا فطبـق داود باشـا إلى التلفـون يخابـر البوليـس ووثـب جـبر يعمـل عـلى حمـل يوسـف الـذي كان الـدم مـن جسـده يندفـع كالأنبـوب، ولكنـه رآه مطبـق العينـين فـذرف الدمـع سـخينا بـكل هـدوء وسـقط يـئن منتحبـا وكذلـك عـم النـواح وعلـت الصرخـات وارتفـع النحيـب وأسرع الجـوار والمـارة إلى الاسـتقصاء

والاستفسار، وفيما هم ينوحون ويولولون والمناحة تحل بأربعة أركان المنزل، أقبل رجال الشرطة يشهرون المسدسات ودخلوا المكان دفعة واحدة فأسرع الضابط يومئ إلى أعوانه بمراقبة النوافذ من الخارج والتوغل في الحديقة والتجول في الشارع وسد السبيل على الجناة وطفق يصدر أوامره بسرعة فخرج بعض رجال البوليس يشهرون أسلحتهم النارية وأقبل هو بنفسه إلى الشاب المقتول نفس نبضه فوجده بلا حراك والصراخ يملأ المكان وقد هرع الأنام محتشدون احتشادا زنيما فملأوا الشارع والحديقة وعلى الأثر أمر الضابط وهو مهتز من فرط حميته بنقل المقتول إلى المستشفى، ولم تمض برهة وجيزة حتى كانوا يحملونه إلى سيارة قد حضرت فركب بها داود باشا مرزوق وثلاثة رجال من البوليس ومعهم الميت.

اهتزت أسلاك البرق تحمل هذا النبأ المؤلم ولم تكن إلا مدة قصيرة حتى أقبلت سيارتان تحملان رجال الشرطة وترجل المدير وأعوانه، ولكنه ما كاد يطأ عتبة المنزل حتى هرعت أمينة وأسمى تتعلقان بأذياله تنوحان وضج البيت بالعويل والغوغاء والنواح فقالت له أسمى ناحبة وهي منبوشة الشعر بحالة يرثى لها:

- يا حضرة المدير لم يعد لنا نصيرا سواك لقد مات أخي الوحيد سندي وعضدي. لقد أطلقوا عليه النار لقد حرموني رؤيته وهو لم يأت منكرا ولم يقترف جريمة ولم يقدم على مس إنسان بسوء. لقد فجعوني بموته وأصبحت مقطوعة في هذا العالم، يا أخي الحبيب يا يوسف.

سـقطت أسـمي ماجـد مغميـا عليهـا فـأسرع النسـاء إلى إسـعافها بينـما كانـت أمينـة مـرزوق الخطيبـة تجثـو عـلى ركبتهـا تـشرق بالدمـوع الحـارة متشـبثة بتلابيـب المديـر قائلـة:

- يـا بـك إنـك المسـؤول عـن حمايـة الأرواح أتـرضى أن يغتالـوا خطيبـي وأن يعملـوا عـلى محـو اسـمه تحـت سـمعك وبـصرك، أنـت الأب العطـوف للبؤسـاء إن آمـال الشـعب تتوقـف عـلى همتـك وحميتـك لقـد مـات يوسـف ومـن أيـن لي أن أراه يـا أسـفي.

هـوت أمينـة واهنـة القـوى تلطـم رأسـها بيديهـا وقـد مزقـت ثيابهـا ومعطـت شـعرها فأسرعـت النسـاء إلى إنهاضهـا، أمـا فريـد بـك فـواز فـإن الموقـف قـد شـل حركتـه وأرهبـه فوقـف كالمشـدوه الحزيـن والأصـوات تتعـالى وتتصاعـد مـما يقـف لهـا شـعر الناصيـة وفيـما هـو عـلى وجومـه وسـكونه أقبـل توفيـق حسـام معاونـه قائـلا:

- يـا بـك لقـد عـثرت عـلى هـذه الرسـالة في غرفـة الاسـتقبال كان قـد قذفهـا الجـاني مـن النافـذة حـين ارتكابـه جريمـة القتـل وتنـاول المديـر الرسـالة وفضهـا وقـرأ فيهـا مـا يـلي:

يـا يوسـف ماجـد، لقـد جنيـت عـلى نفسـك بيـدك فـإن إبـراز إنذارنـا إلى البوليـس قـد حملنـا عـلى قصـف عمـرك وقتلـك لأنـك لـو دفعـت المبلـغ في الميعـاد المعـين بالمـكان الـذي وصفنـاه لـك لمـا رحلـت إلى العـالم الآخـر وهـذا جـزاء كل أحمـق لا يقـدر العواقـب حقهـا مـن القـدر هـل أفـادك عملـك

يـا عثـول هـل أنقـذك البوليـس مـن المـوت ليكـن هـذا درسـا لغـيرك أيهـا المسـكين.

١٩ ابريل سنة ١٩٣٠

عصابة الأشباح الحمر

كاد فريـد بـك فـواز بهـوي إلى الحضيـض فأسـنده سـليم صابـر مسـاعده وسـميره نعيـم، فـإن دوارا قـد حـل برأسـه ثـم نفـض التأثـر والأسى ودنـا مـن النـبراس يتفحـص الرسـالة ثـم رفـع رأسـه يخاطـب معاونـه توفيـق:

- تحـر الأمـر بمعرفتـك وفتـش مـع سـليم وسـميرة كل مـكان ونقبـوا كل جهـة أمـا أنـا فـإني لـن أكـف عـن مطـاردة العصابـة وسـحق رجالهـا سـحقا إلى الأبـد.

ضرب المديـر الطاولـة بيـده وتـأوه وإذا بالضابـط يحمـل الأوراق بيـده قـد امتثـل أمامـه وقـال

- يـا سـيدي لقـد حـضر قصـاص الأثـر الآن وهـذه هـي إفـادة أهـل البيـت قـد سـجلتها عـلى القرطـاس. أمـا الجمهـور فقـد فرقـه رجـالي ولم نعـثر عـلى أثـر للجنـاة الأوبـاش.

- حسـنا اذهب يا توفيق برفقة الضابط وراء قصاص الأثر.

قـال المديـر هـذا وغـادر المـكان، وسـار بعـض الرجـال يقفـون أثـر قصـاص الأثـر الـذي ابتـدأ مـن النافـذة إلى الجنينـة إلى طريـق ضيـق يمتـد مـن بـاب

المنـزل إلى بوابـة البسـتان ثـم إلى الشـارع العـام المعبـد ولمـا ابتعـد عـن البوابـة مقـدار عـشرة أمتـار وقـف وقـال لمـن حواليـه:

- لقد انقطع الأثر لوجود سـيارة كانت واقفة ههنا.

وإذا بصـوت يصيـح - أيـن الضابـط لقـدر رأيـت القاتـل والمسـدس بيـده أيـن الضابـط؟

كان الرجـل يرتجـف ويرتعـد يتكلـم وهـو يلـوح بيديـه فزعـا مذعـورا فانقض عليـه الضابـط وجذبـه مـن يـده وقـد أشـهر رجـال التحـري المسدسـات عليـه فقـال لـه الضابـط بصـوت داوٍ كهزيـم الرعـد:

- من أنت وما اسـمك؟

- أنـا يـا سـيدي البـواب واسـمي سـليمان عـارف وإننـي بينـما كنـت في غرفتـي السـفلى في الطابـق الأرضي سـمعت صـوت الرصـاص ووقفـت عـلى النافـذة فرأيـت شـبحا أحمـر اللـون عـلى نـور المصبـاح الكهربـائي الـذي في الشـارع، وهـذا الشـبح يعـود مـن جهـة المنـزل يشـهر بيـده مسدسـا ضخـما فارتعـدت وجزعـت ولم أجـسر عـلى الـصراخ ولمـا وصـل البوابـة الخارجيـة الحديديـة طـرأ مسـمعي صـوت دوي سـيارة ثـم خـف دويهـا وقـد سـقطت مـن الوجـل إلى أرض المـكان فاقـد الوعـي كالقتيـل.

فقال له الضابط بصوت الأمر - كم لك في خدمة سـيدك صاحب المنزل؟

- عـشرة أعـوم يـا سـيدي وأنـا متـزوج ولي ثلاثـة أولاد واقامتـي الدائمـة ههنـا مـع امـرأتي وأولادي.

- كم كانت الساعة حين سمعت العيارات النارية تدوي في الفضاء؟

- كانت الساعة على وجه التقريب تبلغ التاسعة ولا أقدر أن أحدد الوقت تماما.

- حسنا صف لي هيئة الشبح الأحمر هذا وصفا دقيقا يا سليمان.

- إنه يشبه هذا العملاق الذي بجوارك، إنه ضخم الجثة طويل القامة عريض الألواح كبير الهامة يسير بدون أن يسمع له حفيف أو صوت.

- سر أمامنا إلى مخدعك ومثل لنا الحادث كما رأيته تماما.

كان أحد رجال البوليس يسجل أقوال البواب سليمان عارف الذي سار يتقدمهم وهم يسيرون ورآءه، ولما وصل مخدعه دخل أمامهم فأجالوا الطرف في أنحاء المكان فسأله الضابط.

- أين امرأتك وأولادك يا سليمان؟

- إنهم يا سيدي في الغرفة المجاورة وقد أغمي على امرأتي ليلى حين عرفت بمقتل يوسف ماجد المرحوم أما الآن فهي في المنزل تقوم بخدمة حرم داود باشا.

– مثل لنا أين كنت تقف حين مر هذا الشبح الزنيم الصفيق؟

- كنت أقف هنا على النافذة وقد مسكت الحديد بيدي.

- قـم وقـف عـلى النافـذة وقبـل أن يلمـس حديدهـا بيـده صـاح بـه الضابـط.

- لا تلمـس شـيئا أيـن قصـاص الأثـر، أمعـن الطـرف جيـدا يـا هـذا هـل يوجـد أثـر عـلى حديـد النافـذة؟

ودنـا قصـاص الأثـر مـن الحديـد وفحصـه ثـم قـال باسـما - نعـم يوجـد أثـر يـا سـيدي.

- هـل الأثـر الموجود على النافذة هو من يده أم يد أخرى؟

وتفحـص قصـاص الأثـر يـد سـليمان عـارف البـواب ثـم حديـد النافـذة وقـال- نفـس الأثـر يـا سـيدي.

- حسـنا هلمـوا الآن إلى فحـص النافـدة التـي منهـا أطلـق القاتـل الرصـاص وأنـت يـا سـلمان سـنحتاج اليـك فيـما بعـد.

- أني رهـن الاشـارة يـا سـيدي ولـو كان في حـوزتي بندقيـة لأطلقـت الرصـاص عـلى الشـبح الأحمـر وقتلتـه عـلى الفـور.

- سنسـمح لك فيما بعد باقتناء بندقية للصيد يا سـليمان.

ثـم خرجـوا بأجمعهـم إلى الخـارج ودنـوا مـن نافـذة الصالـة فوجـدوا آثـارا بواسـطة القصـاص عـلى الحديـد والقاتـل يقبـض عليـه بيـده ليحفـظ تـوازن جسـمه مـن السـقوط ثـم رأوا آثـر أقـدام عـلى الجـدار ثـم عـلى الوطـأ.

وعـلى الاثـر قـال توفيـق حسـام المعـاون - قـس لي يـا جـلال طـول وعـرض

القـدم مـن الأثـر المطبـوع عـلى الأرض وعـلى الجـدار.

- حـاضر يـا سـيدي، ثـم لمـا أتـوه بخيـط قـاس طـول القـدم وعرضهـا وقـص توفيـق الخيـط حسـب الطـول ثـم حسـب العـرض، ثـم أخـذ الضابـط البصـمات المطبوعـة عـلى حديـد غرفـة الصالـة تـم البصـمات الموجـودة عـلى حديـد غرفـة البـواب وبعـد ذلـك أمـر أعوانـه بحراسـة المـكان والحديقـة والشـارع وعـاد مـع رجـال التحـري وقصـاص الأثـر أدراجهـم والـصراخ والنـواح مـا يـزالان يتصاعـدان مـن المنـزل ولكـن بحالـة تمـزق الأكبـاد ونيـاط القلـوب.

الفصل السَّادس
الجائزة

كان النـواح في بيـت داود باشـا مـرزوق يهـز المشـاعر والقلـوب وقـد ازدحمـت النـاس فاكتظـت الحديقـة بهـم وامتـلأ المنـزل بالأنـام، وقـد بـكى أشـد الـورى صلابـة لمـا أبـدت أسـمى مـن تمعيـط شـعور ولطـم وجـه وتمزيـق ثيـاب، ولمـا أظهـرت أمينـة مـن اخـلاص لبكائهـا المفـرط وإغمائهـا المتقطـع، فدبـت الحميـة بالقـوم وكان يلتـف بعضهـم مـع بعـض ولا حديـث لهـم إلا عـن عصابـة الأشـباح الحـر، ومـا هـو جديـر بالذكـر فـإن داود باشـا مـرزوق قـد كادت تصيبـه حمـى الحميـة فـكان يزمجـر متعـددا متوعـدا وقـد مـزق سـترته مـن أعـلى إلى أسـفل والرجـال يحاولـون دون قصـده ويهدئـون بروعـه ويطيبـون بخاطـره فانفجـر باكيـا سـاخطا يقـول:

- اني أسـد الغـاب لا أدري لمـاذا ندفـع الضرائـب ولمـاذا يتقـاضى رجـال الأمـن العـام رواتبهـم الشـهرية، سـأقوم أنـا بنفـسي بحشـد الأعـوان ومطـاردة العصابـات هـل ماتـت هـذه الحكومـة هـل دب بهـا الوهـن هـل هاجمتهـا الشـيخوخة فغـدت عاجـزة، بحاجـة إلى مـن يقـوم بحمايتهـا، هـل سـجل التاريـخ فظاعـة كفظاعـة هـذه الجرائـم فينقـض الرعـاع عـلى البيوتـات ويخطفـون الأرواح هـل خمـد القانـون وحلـت الفـوضى بالبـلاد، ألا تسـتطيع الـوزارة القائمـة إصـدار الأوامـر بهـدم المنـازل عـلى رؤوس أصحابهـا ودك معـالم الجـور والطغيـان، في بيتـي يقترفـون الجرائـم الفظيعـة ويهاجمـوني في عقـر داري ولا يرعـون لي حرمـة، سـأتمنع عـن دفـع الضرائـب والأعشـار مـن الآن اني لسـت بمسـيس الحاجـة إلى مـن يحمينـي سـأقوم بحمايـة نفـسي

وسأجرد حملة من الرجال لمطاردة الأشباح الحمر، إني كفوء لذلك فإن مالي لا ينضب ولا تأكله النيران. الأيام بينا أيتها العصابة ستعلمين من أنا فيما بعد.

رثي الموجودون لهذا الرجل المسن ونسبوا أقواله إلى هول الفاجعة ولمصابه الأليم فتحفز رجل كهل بارز المكانة وقال:

- والله يا ساده إن الوزارة الحالية تقبض على ناصية الأمر بيد من حديد ورجالها من أشد ما رأيت صلابة وجأشا وكذلك مدير البوليس من أبرع ما أنجب التاريخ، ولكن في كل بلد يعيث الأوباش فسادا وشرا وتسفر النتيجة عن محو دابرهم وابادتهم عن بكرة أبيهم، والبرلمان بنفسه سيتناول في افتتاح جلساته المقبلة قضية هؤلاء الرعاع ويطالب الحكومة بالضرب على أيديهم بعصا من حدد صارمة بل على بتر سواعدهم واستئصال شرورهم. نعم أن الجرائم قد تطورت في الآونة الأخيرة ولكن الحكومة ليست غافلة أو متغافلة فرجالها يعملون بكل جد ونشاط فقد أرصدت المبالغ الضخمة لسحق العابثين بالنظام وقد بثت رجالها في كل ركن من أركان العاصمة وقد حشدت قوات عديدة في الشوارع والطرق وفي كل مكان، والعادة أن المجرمين لا يتورعون عن اقتراف كل منكر وشنيع ليدب الذعر في قلوب هذه الأمة التي لن تناصر إلا الحكومة ورجالها.

إن المصاب بدون شك أليم والأولى الاعتصام بحبل الصبر فإن عين القانون مفتوحة لا ترقد، وسيأتي ذاك اليوم المنشود الذي فيه سيناقش

القانـون هـؤلاء الأوبـاش الحسـاب ولكنـه حسـاب مـن النـوع العسـير.

اتخـذوا طـول الأنـاة شـعاركم يـا سـادتي فـإن الحكومـة مـا زالـت قويـة مسـتعدة الآن تقتـص مـن الجنـاة الآثمـة الكفـرة، ولكـن كل ظنـي أن هـذه العصابـة هـي دوليـة هـذا مـا تـراءى لي وعـلى كل فـإن مـن واجـب الشـعب أن يهـب دفعـة واحـدة ويظهـر ولاءه الخالـص للحكومـة ومسـاعدته لهـا عـلى المجرمـين، فإنـه مـا دام الشـعب راضيـا عـن حكومتـه فـإن الأشرار لـن يعيشـوا طويـلا وإن مـا نعتـز بـه ونفتخـر هـو الاتحـاد الوثيـق مـع القانـون ورجالـه حتـى نعمـل متكاتفـين لصـد العـدوان واعـادة النظـام والاسـتتباب إلى سـابق عهدهـا.

أقنعـت أقـوال هـذا الرجـل المسـن العجـوز الحضـور وكانـت أصـوات النحيـب ترتفـع مـن المـكان المجـاور وخيـم الصمـت عـلى المـكان لـولا تأوهـات وتنهـدات داود باشـا مـرزوق التـي كانـت تعكـر السـكوت مـن آونـة إلى أخـرى.

وبعـد ظهـر ذاك النهـار كان موكـب الجنـازة يخـترق شـوارع المدينـة ورجـال الشرطـة يسـيرون لحمايـة الـورى ويزدحمـون في الطـرق بكـثرة زائـدة يشـهرون أسـلحتهم الناريـة، وظـل الموكـب عـلى سـيره وقـد تقدمتـه فـرق الكشـافة وكانـت الموسـيقى تصـدح بأنغـام الحـزن والأسى والأسـف حتـى وصلـوا المقـبرة وكانـت أمـارات الجـزع والتأثـر تعلـو الوجـوه وبعـد الدفـن تفـرق القـوم كـما هـي العـادة.

ظـل سـيل القـوم يتقاطـر يومـين كاملـين عـلى بيـت داود باشـا للتعزيـة بينـما كانـت أسـمى ماجـد تجلـس منتحبـة بصـوت خافـت وأمينـة تـذرف دمـوع الحـسرة والنـدم.

* * *

دب الذعـر في قلـب العاصمـة المصريـة واهتـزت مـن أقصاهـا إلى أقصاهـا لظهـور عصابـة الأشـباح الحمـر حتـى غـدا الأهلـون يقفلـون محلاتهـم عندمـا يخيـم الظـلام، وحصلـت رجـة عنيفـة في الأوسـاط الراقيـة وكذلـك حدثـت هـزة مريعـة بـين طبقـات العـمال وكانـت العصابـة حديـث القـوم عـلى مختلـف طبقاتهـم في المقاهـي والشـوارع والبيـوت.

أمـا رجـال التحقيـق فقـد ظلـوا أسـبوعا كامـلا يحققـون في بيـت داود باشـا رهـط منهـم يدخـل ورهـط يخـرج وقـد نقبـوا البيـت تنقيبـا دقيقـا وفتشـوا كل ركـن مـن أركانـه ولم يدعـوا بقعـة في الجنينـة إلا رسـموها عـلى الـورق وخططـوا الخرائـط وبثـت دوائـر البوليـس أمهـر رجالهـا حـول المنـزل ولم يتركـوا شـبرا واحـدا فيـه إلا فتشـوه وقـد وزعـت الحكومـة الاعلانـات الكثـيرة وألصقتهـا عـلى الجـدران في كل ناحيـة فيـما يـلي:

عـشرة آلاف جنيـه مـصري جائـزة لمـن يرشـد أو يهتـدي إلى مقـر عصابـة الأشـباح الحمـر أو يقبـض عـلى أحـد رجالهـا أو يتمكـن مـن قتـل رئيسـها.

وتظاهـر الجمهـور يخـترق شـوارع القاهـرة يقـدم احتجاجـه إلى الحكومـة

ويصيح إنه يناصرها ويتكاتف معها تكاتفا وثيقا لمحو معالم العصابات ودك معالم الأشباح الحمر.

بعد مرور أسبوع على هذه الحوادث كان فريد بك مدير دائرة التحري يجلس في مكتبه كئيبا يتصفح التقارير الواردة عن الجرائم التي حصلت في شهر ابريل سنة ١٩٣٠ وفيما هو دائب على عمله قرع الباب ودخل توفيق حسام معاونه محييا فقال له المدير:

- إني أطالع هذه القضية يا توفيق فإن مكتب القومسيون القائم في شارع قصر النيل لصاحبه نجيب سالم يترأسه مدير اسمه يوسف مزري ويوسف هذا على ما أعلم فقد اعتنى بتربيته نجيب بك سالم المذكور وفوضه مكتبه وأملاكه وعقاراته وأطيانه، والقضية هنا أن لمقتل صديقي المرحوم جمال باشا وهاب علاقة مع قريب ليوسف مزري فإن جابر مزري وهو ابن عم الأخير كان قد سلب بعض القطع الذهبية والأواني الفضية من بيت صديقي جمال المرحوم وإليك البيان:

٤ اغسطس سنة ١٩٢٨- حكم على إبراهيم جابر مزري بالسجن شهرة واحدة لسلبه أشياء ذهبية وأواني فضية من بيت جمال وهاب وقد أعيد المال المسلوب إلى صاحبه.

حاشية لقد مات السارق جابر إبراهيم مزري بعد سجنه بعشرة أيام بالسكتة القلبية وبعد الفحص الطبي قرر الطبيب بأن حركة قلبه قد وقفت فجأة بدون سببا وكانت الوفاة قضاء وقدرا.

حدق توفيق بعينيه وقال - هل أنت مرتاب يا بك بيوسف مزري من أن له ضلعا بمقتل صديقك المرحوم جمال باشا وهاب؟

- بدون شك إن جابر الذي توفي في الحبس يكون قريبا ليوسف مدير مكتب القومسيون ابن عمه على ما أعهد، وقد عمل على الانتقام من جمال باشا صديقي المرحوم، وليست عصابة الأشباح الحمر إلا مجرد وهم وللتمويه على رجال الأمن العام ولتضليلهم وبما أنك قد أتيت بقياس للقدم فعليك أن تتصل بيوسف وتقيس حذاءه فإذا انطبق القياس فهو المجرم بدون ريب، وكذلك حسب إفادة البواب سليمان عارف بأن الشبح الأحمر كان طويل القامة ضخم الجسم كبير الرأس وهذه الصفات تنطبق على يوسف مزري تمام الانطباق، فرأيت أن من الضرورة الملحة مراقبته والعمل الحصول على قياس حذائه فإن الشبهات تحوم حوله.

- ولكن يا سيدي ألا تستطيع محادثة نجيب بك سالم وهو صديقك تقريبا؟

- لا حاجة إلى كل هذه الضجة فإن يوسف سيحتاط للأمر ويتخذ معداته للفرار أو للتمويه علينا فأنا أود ان أباغته من طرف خفي وأعد عليه كل حركة حتى لا يشعر على الاطلاق ويظل مطمئن الضمير مرتاح اللب والخاطر، نادِ لي سليما وسميرة على عجل يا توفيق.

وغـادر توفيـق المكان ثم عـاد برفقة الاثنين فحيا المدير الذي قال:

- لقـد وردتي رسـالة مـن وزارة الداخليـة سـأقرأها عـلى مسـامعكم وبعـد ذلـك لي مـا أسره اليكـم فـإن لـكل منكـم مهمـة منوطـة بـه وفتـح المديـر درج مكتبـه وأخـرج مظروفـا كبـيرا ففضـه وقـرأ مـا يـلي:

لنـا الـشرف بـأن نعلـم حضرتـك بـأن تأخـذوا العـدة الكافيـة لسـحق عصابـة الأشـباح الحمـر وإنـا نطلـق يديكـم بالعمـل ونمنحـك الحريـة المطلقـة بـكل مـا تفعلـون وكذلـك لكـم مـلء الاختيـار بانتخـاب مـن يروقكـم مـن الأعـوان، ولنـا وطيـد الرجـاء العثـور عـلى مكمـن هـؤلاء الأشرار الذيـن يعيثـون في البـلاد فسـادا وشرا، والـضرب عـلى يدهـم بعصـا مـن حديـد تأديبـا لهـم صارمـا ودرسـا فعـالا!

٢٠ ابريل سنة ١٩٣٠

وزارة الداخلية - القاهرة

وبعدمـا قـرأ المديـر الخطـاب تفحـص كل شـخص بمفـرده ثـم بـكل هـدوء طـوى الرسـالة ودسـها في درجـه وقـال:

- أنـت يـا توفيـق أنيطـت بـك مهمـة العثـور عـلى قيـاس الحـذاء المنـوه عنـه واتخـذ المعـدات لذلـك واسـتعمال كل لباقتـك وكياسـتك حتـى لا يشـعر أحـد بـك. أمـا أنـت يـا سـليم فـإن واجبـك تفهمـه تمامـا فـإن الشـعب قـد أحـرج موقفنـا وعلينـا يتوقـف كل أمـل، أمـا أنـت يـا سـميرة فقـد كان أبـوك أعـز صديـق لي وقـد كفلتـك وربيتـك إنمـا لمثـل هـذا اليـوم العصيـب إني لا

أطلب منك مغنما أو زج نفسك بين لبيب المخاطر فحسب، بل أسألك ألا تتذرعي بسلاح الأنوثة مع العلم بأن تحافظي على شرفك وصيانتك وعليك اعلامنا لا أكثر ولا أقل. وعلى كل منكم أن يستعمل مسدسين وخمسة أمشاط من الرصاص مع السوار الحديدي وحبل صغير مطلي بالشمع قد أرسلته الوزارة خصيصا للتقييد، وأما أنا فهمتي سأقوم بها حسب ما رسمت من خطط، وأملي أن تظلي يا سميرة برفقة سليم فإنه قوي البنان وأن أظل أنا بصحبة توفيق.

- يا بك إني أروم أن أظل مع توفيق حتى أصونه وأحوطه بعنايتي يا سيدي لأنه محدود القوة واتخذ أنت سليما رفيقا لك.

وتبادل المدير وسليم النظرات المهمة وابتسم توفيق فقال سليم:

- دعها وشأنها يا سيدي إني لا أتركها على أية حال سأظل أقفو أثرها فإنها تعتمد على قوتها الجسمانية أما أنا فقد حاربت في السودان.

وابتسم الأربعة فقال المدير - إنا نود العمل بسرعة ومكانة هؤلاء العلوج الصعاليك فالمجال لا يسمح لنا بالمزاح هل أنتم على استعداد لإجابة ندائي هل تحلفون بشرفكم أن يكون شعاركم الاخلاص في العمل، إن دائرتنا مستقلة عن بقية الدوائر ومدير الأمن العام إبراهيم بك قد فوضني تفويضا تاما.

وصاح الثلاثة يلوحون بأيدهم - ابشر يا بك إنا رجالك.

- إني أشكركم سلفا ومن باب الاحتياط ان تستعملوا الطلاء والدهون لتغيير معالم وجوهكم والتستر تحت الوجوه المستعارة حتى لا يفطن اليكم أحد، وأن تعتنقوا كل أبواب الدهاء كاشتغالكم في جميع المهن واخفاء أسمائكم وشخصياتكم، وإذا تعسر عليكم مواجهتي ههنا فإن بيتي مفتوح الباب على مصراعيه لزيارتكم ولكم صدر البيت.

وردد الثلاثة كلمة العفو – فاستتلى المدير:

- وأن تكون التقارير كل أربع وعشرين ساعة مرة تحت اسم فريد أفندي التاجر أو الصحافي أو المؤلف أو الشاعر وأنا سأجدها إما هنا أو في البيت بغرفة المكتبة والعنوان الرسمي هكذا، فريد أفندي القاهرة لحضرة الأستاذ المؤلف أو أية كلمة تريدونها هل هذا مفهوم؟

ثم وقف المدير وكذلك غادر الأعوان المكان واستعد كل منهم إلى القيام بالمهمة المنوطة به.

* * *

صدرت الصحف وفي صفحاتها الأولى مقالة تصف فظاعة عصابة الأشباح الحمر تهول وتصور الجرائم الجسيمة المنكرة التي يرتكبها المجرمون الأشباح، وتناقلت ألسنة الخلق ومقالات الجرائد التي أكثرت من سرد الحكايات والقصص عن العصابة والعصابات، وتفنن المجرمين وعبقرية الأشباح السافكي الدماء الذين لا يتورعون عن الفتك بالكبير والصغير والتنكيل بالأمير والحقير، تطالب الحكومة حتى تشمر عن ساعد الجد

وتبطش بهؤلاء الأئمة الخونة الخرابي الذمة الفاقدي الشرف والمروءة والوجدان البائعي الضمائر الحية.

وحصلت موجة ذعر في القاهرة حتى أصبحت كلمة عصابة تقلق راحة الآمنين وتعكر صفوهم وقد ألحت الجرائد بوضع حد لهذه المهزلة التي أزعجت السكان صارخة بالاستعانة بفريد بك مدير القسم السري المفوض الرجل الصميدع الخطير الشديد المراس الزنيم العناد الذي لا يصلح غيره لتعقب الأشباح الحمر، ثم اختتمت بعض الجرائد مقالاتها بمثل هذه الصورة، وأن الشعب يناصر الحكومة ويمد لها يد المساعدة ويعمل معها جنبا إلى جنب لمكانة العصابات واستئصال شأفتها، وان ثقة الشعب بمدير القسم السري لا حد لها.

كان توفيق حسام المعاون يقرأ الجريدة وهو ينتفض حمية وحماسة ثم قذف بها إلى المقعد ودخل مخدعه ووقف أمام المرآة وقد حضر الأصباغ الملونة والدهون وبدأ يغير زيه ويخفي معالم هيئته الأصلية.

وبعد ربع ساعة تقريبا خرج من غرفته فوثبت أخته جميلة صارخة باستغراب وتعجب:

- ما هذا يا توفيق إنك طمست شكلك القديم أنت غير أخي الأول إنني لا أعرفك.

- هـل أتى تنكـري غريبـا يـا جميلـة فقـد سررت الآن فإنـك أنـت أختـي قـد أشـكل عليـك موقفـي فكيـف بالحـري مـن لا يعرفنـي، إن غبطتـي لا حـد لهـا فـإني سـأقوم بالمهمـة التـي نيطـت في خـير قيـام.

- ولكننـي أخـشى عليـك يـا توفيـق مـن أبنـاء السـوء تبـصر حالتـك أيهـا الشـقيق واعلـم أن وراءك مـن تعولهـا وتحميهـا.

- لا بـأس أن المـوت كأس تمـر عـلى الجميـع فـاذا قـدر لي اللـه المنيـة فـإن قـوة في الوجـود لا تسـتطيع حمايتـي. إن الأجـل هـو الأجـل ولا مـرد لحكـم رب الآخـرة.

ثـم تنـاول توفيـق صنـدوق مسـاحي الأحذيـة وأختـه تقهقـه مـن الضحـك وغـادر المـكان مودعـا يجـوب الشـوارع ويدخـل الأزقـة والمنعطفـات ينـادي بصـوت مرتفـع ليعلـم الجميـع أنـه مسـاح أحذيـة، ومـا زال عـلى عملـه حتـى السـاعة الثانيـة بعـد الظهـر ثـم قصـد عزبـة النخـل وهـي تبعـد عـن القاهـرة نصـف سـاعة بالسـيارة.

كانـت بيـوت الفلاحـين منتـشرة هنـا وهنـاك في عزبـة النخـل فوصـل توفيـق وهـو يقـوم بـدور ماسـح الأحذيـة وتقـدم مـن بيـت لا يقـوم عـلى غـرار بقيـة البيـوت فإنـه مشـيد عـلى الطـراز الحديـث جميـل بترتيبـه وزخرفتـه ولـه شرفـة تطـل عـلى البيـداء الفسـيحة ذو دوريـن اثنـين فوقـف يلتقـط أنفاسـه وتقـدم مـن بـاب المنـزل وقرعـه بيـده ينتظـر.

وما هي إلا ثوان معدودة حتى فتح الباب وظهرت فتاة كأنها هاروت عصرها وأوانها تناهز سن الرابعة عشر مروعة القامة شقراء اللون بارزة النهدين وما فيهما من أنوثة جارحة ترتدي ثياب أهل المدن وقالت بلهجة مهذبة:

- آه مساح الأحذية ماذا تريد؟

- لقد أرسلني يوسف باشا مزري مدير مكتب القومسيون في القاهرة القائم في شارع قصر النيل حتى أمسح لسعادته أحذيته.

ضحكت الفتاة ضحكة مغرية تسلب الألباب وتخفق لها القلوب ولها وقالت وقد تمايلت بقوامها الممشوق:

- إن أبي ليس باشا إنه أفندي وإن أحذيته يقوم بمسحها وتنظيفها مساح خاص يحضر إلى مكتبه صباح كل يوم، هل أوفدك البابا إلى هنا؟ فأجاب توفيق حسام بصوت اليأس ولكنه مؤدب الألفاظ:

- نعم أيتها الآنسة لقد أمرني بالقدوم إلى بيته وقال لي ستجد ابنتي وهي تسلمك أحذيتي فتمسحها وتنظفها.

- قال لك الباب عني أنا، هل ذكر لك اسمي إني زهية؟

- نعم يا آنسة هذا ما أمرني به يوسف أفندي مزري وأنا خادم رضوخ مطواع.

- حسنا إن ألفاظك تدل على أنك من أهل الرقي والحضارة ومن ذوي النعيم والترف إنك سامي الخلق لأخبر الماما إذا شئت.

كما تريدين أيتها الآنسة زهية وإني إذا لم أقم بواجبي فإن والدك سيوسعني صفعا ولطما.

تركته الفتاة ثم عادت بعد برهة وبرفقتها امرأة عليها مسحة من الجمال تناهز الأربعين عاما وقالت على الفور:

- إنك مساح الأحذية حسنا اجلس هنا حتى آتي بكل الأحذية التي تخص يوسف وتخصني وتخص زهية.

وضع توفيق حسام صندوقه وجلس على كرسي صغير غير مرتفع إلا قليلا وبعد لحظات عادت المرأة وبرفقتها غلام يحمل أحذية كثيرة ثم تركوه وعادوا إلى المنزل.

بدأ توفيق بالعمل وأخرج الخيط وقاس حذاء يوسف مزري فوجده أصغر من الخيط بقراطين وكذلك عرضه ينقص قيراطا ونصف قيراط، فاستل خيطا جديدا من جيبه وقطعه على قياس الحذاء تم باشر بمسح الأحذية بسرعة فائقة ولم تمض لحظة حتى فتح الباب من جديد وأقبلت الفتاة إلى مساح الأحذية فقالت ضاحكة:

- سأعود من حيث أتيت لقد خجلت حين رأيتني لا بأس.

غادرته الفتاة فذهل للأمر متعجب لسمو أخلاقها ثم عادت إليه بعد قليل ضاحكة وصاحت:

- ماما هلمي أنظري بالله إنه رشيق للغاية بمسح الأحذية إنه خفيف الحركة هائل جدا.

ابتسم توفيق وزاد نشاطه حين أبصر الأم تدنو منه متعجبة فقالت له:

- سأحدث يوسف متى عاد حتى لا يمسح أحذيتنا سواك ما هو اسمك؟

- اسمي يا سيدتي عبد الخالق المبتور.

- ورددت المرأة ماذا ماذا، فردت عليها ابنتها بكل بطء كلمة كلمة، عبد الخالق المبتور.

وضحكت الاثنتان وشاركهما توفيق ضحكهما ثم وقف يجمع عدته ورتب الأحذية صفا واحدا، وقال:

- هذه الأحذية يا سيدتي هل من خدمة أخرى؟ - فأجابته المرأة:

- الله يمنحك العافية سلم الله يديك لقد سررنا منك جد السرور عد كل ثلاثة أيام مرة لا تنس يا عبد الخالق المبتور. - فقالت زهية فتاتها:

- يا عبد الخالق المبتور إنه اسم جذاب يرغمني على الضحك ولكن صاحبه طريف ظريف هائل.

ورنت ضحكة طويلة صدرت من فم الأم والابنة وتمهما توفيق وهو يعود أدراجه من حيث أتى.

الفصل السَّابع
حيلة

دخل مدير القسم السري فريد بك فواز دائرة البرق (التلغراف) ولما تلاقى بالمدير قدم الأول تذكرته وما كاد ينظر إليها مدير البرق حتى تصافح الرجلان فقال فريد بك:

- الرجاء أن تخبرني عن كل ما يردكم من برقيات مشبوه بها أو مطموسة أو ذات أرقام أو بالشيفرة أو بلغة غير مصطلح عليها عند الجمهور كل ذلك حتى أتمكن من العثور على أصحابها لأن عصابة الأشباح الحمر قد استعملت كل أفانين المكر والدهاء والرياء والاحتيال وإن الاغتيالات ما زالت تقع على ساق وقدم هل ترى حضرتك ضرورة لإجابة طلبي؟

- بدون شك إني خادم القانون وسأكون أول مطيع للأوامر الصادرة وخصوصا من دائرة البوليس السري، فإن ظهور عصابة من هذا النوع ستصبح خطرا عليّ وعلى كل فرد فاني من الآن سأرقب كل برقية مهما كان نوعها تافها مستعجلة أو غير مستعجلة وسأتصل بحضرتك على الفور ما هو رقم التلفون؟

قدم مدير دائرة البرق علبة سجائره إلى فريد بك الذي تناول واحدة وأشعلها ثم قال... رقم التليفون يجب أن يكون الهاتف على اتصال تام بيننا بدون رقم خشية أن يفطن اللصوص إلى الرقم فيعبثون به.

- إن حضرتك على حق ولذلك يجب إعلام دائرة البريد حتى تمد خطا خصوصيا.

- إني ذاهب إلى مدير البريد والآن شكرا. - ثم تصافح الرجلان تصافح الوداع.

عندما اجتمع المديران فريد بك ومدير البريد قال الأول بعد التعارف:

- جئت اسأل حضرتكم أن تراقبوا كل كتاب عليه علامة خاصة أو تحوم الشبهات حوله وأن تعلموني بالأمر إذا شئتم، وأن تمدوا خطا تلفونيا بين دائرتي ودائرة البرق ودائرتك إذا كنتم تسمحون بهذا أيضا.

- كل شيء رهن إشارتكم يا سيدي ومن الآن سأوصي الموظفين بالمراقبة الشديدة وكذلك سنمد هذا الخط ولو مؤقتا.

شكره فريد بك ثم ودعه منصرفا وسار سيرا يشبه الركض حتى وصل دائرة البوليس فأم غرفة المدير إبراهيم بك شجاع الذي حين رآه أمامه وقف مذعورا وقال:

- ظننتك في البدء من رجال العصابة وتأهبت لإطلاق النار عليك لأنه محظور على أحد الدخول بدون إذن خاص وبدون مرافقة الضابط كما تعلم، هل عترتم على شيء له أهمية وقيمة يا فريد بك أم ما زلنا نهيم في الطرقات ونرتطم بصخرة الأمل؟

- إن النجاح مؤكد بعون الله ولكنني جئت اسألك أن تتصل بكل دائرة على الحدود حتى لا يفر الجناة لأني اتصلت بدائرتي البريد والبرق لضبط الرسائل المشبوهة.

- أحسنت يا بك باتخاذك هذا الاحتياط وبعد ساعة على الأكثر ستكون كل مراكز الحدود على علم بهذا الأمر، إني أود فقط رؤية شبح واحد حتى أروي الغليل من نهش لجانه ومص دمه.

ودع فريد بك مدير الأمن العام وخرج منصرفا فركب سيارة أقلته إلى مكتب وزارة الداخلية فاتصل بسكرتير وزير الداخلية ولما أبرز هويته صافحه السكرتير قائلا:

- عساكم قد وصلتم إلى حل مرض يا بك واهتديتم إلى وكر هؤلاء الاوشاب الرعاع.

- عما قريب ترون خيرا يا سيدي ولكني قدمت لأعلمكم بأخذ الاحتياطات اللازمة والمراقبة الدقيقة حتى لا يغادر أحد اللصوص القطر المصري إلى الخارج، وأملي ألا تسمحوا لأي فرد كان بالسفر إلا بعد التحقيق من شخصيته وهويته.

- إنا على أتم الاستعداد يا بك هل تريدون خدمة أخرى؟

- العفو إني أريد سلامتكم شكرا.

ثم تصافح الرجلان وغادر المدير مكتب وزارة الداخلية عائدة إلى دائرته.

وحين وصوله وجد تقريرا على مكتبه فتصفحه وانفرط ضاحكا وقال:

- برافو توفيق إنها لحيلة بارعة ولكن القياس الذي عثرنا عليه هو غير قياس حذاء هذا الرجل، ثم تناول الخيوط وجعل يقيسها وسار حسب التعليمات المدونة أمامه ففقه أن حذاء يوسف مزري دون القياس بقيراطين طولا وقيراط ونصف قيراط عرضا. فقال:

- لا بأس إذا كان حذاؤه دون القياس، سنتخذ اجراءات أخرى غير هذه ولا بد لنا من القبض على شبح واحد من أشباح العصابة... الأيام بيننا سأحذف عدانة الأنذال.

* * *

في صبيحة اليوم التالي كانت سميرة نعيم تدخل مكتب القومسيون لصاحبه نجيب بك سالم في شارع قصر النيل وهي ترتدي أجمل ما في حوزتها من ثياب تتيه خيلاء وزهوا وفي يدها جزدانها الأسود كأنها ملك من الصافات قد هبط من السماء ليتفوق بجماله الفضاح على غادات الأرض.

أرشدها الخادم إلى غرفة سيده فأمت المكان فرأت رجلا يجلس وراء مكتبه حين أبصرها هب واقفا وقال ببشاشة - أمر يا بنيتي.

كان الرجل يناهز الخامسة والخمسين عاما تبدو دلائل الهيبة والوقار في وجهه وقد خطط الشيب شعر رأسه فقالت له:

- إني أروم مواجهة السيد يوسف مزري يا سيدي.

ونهـض الرجل عن مكتبه قائلا:

- إني نجيـب سـالم تفضـلي بالجلـوس يـا ولـدي ريثـما أدعـو لـك يوسـف أفنـدي.

ودنـا الرجـل مـن بـاب القاعـة وصـاح - يـا يوسـف، فانفتـح البـاب وعـاد الرجـل إلى سـميرة يقـول - تفضـلي يـا ابنتـي.

دخلـت سـميرة نعيـم غرفـة يوسـف فهالهـا منظـره فقـد رأت رجـلا ضخـم الجثـة مـن عمالقـة التاريـخ يضاهـي بحجمـه سـليم صابـر رفيقهـا في المهنـة، حـاد النظـر فقـال لهـا باسـما:

- أهلا بالغادة الحسـناء تفضلي يا سـيدتي ماذا تريدين مني؟

- إني آنسـة يـا سـيد يوسـف وقـد أتيـت أسـألك أمـرا عسـاك تقـدر أن تسـاعدني وتعمـل عـلى رحمتـي.

- حسـنا يـا آنسـة مـا هـو هـذا الأمـر تفضـلي بالجلـوس أتشربـين الشـاي أم القهـوة؟

لا هـذا ولا ذاك إني فتـاة متوسـطة الحـال بـل أدنى مـن المتوسـطة أتيـت أسـعى وراء عمـل عسـاي أتمكـن مـن الحصـول عليـه يمكننـي مـن القيـام بـأود نفـسي وأمـي وأخـي الصغـير الذيـن لا معـين لهـما سـواي في هـذا العـالم، وقـد هـاب في أن أفـضي بأمـري إلى نجيـب بـك صاحـب المكتـب لأن دافعـا خفيـا حرضنـي إلى مواجهتـك وهـو يؤملنـي بأنـك أهـل للثقـة يـا سـيد يوسـف.

ابتسم الرجل ابتسامة عريضة بينما جلست الفتاة واختلس النظر إليها وهي تتظاهر بعدم مراقبتها إياه فشخص إليها ثم تنهد وقال:

- إنك حسناء يا آنسة هل تجيدين اللغة العربية والكتابة على الآلة الكاتبة؟

- إني يا سيدي أجيد اللغات العربية والفرنسية والإنكليزية والايطالية والكتابة على الآلة الكاتبة وأجيد مسك الدفاتر.

أسند يوسف ظهره على المقعد وتفرس بها مشدوها ثم قال:

- الله، الله برافو تجيدين كل هذه اللغات وأنت معوزة عاهنة الحال، إن عينيك أيتها الآنسة تسلبان العقول ما هو اسمك يا غادة الفردوس؟

أرخت سميرة نعيم نظرها إلى أسفل وقد وثقت من أنها سيطرت بجاذبها وجمالها ونظرات عينيها على حواسه وحجاه ثم قالت بخجل:

- اسمي يا سيدي حياة كنعان.

- اتسعت أحداق يوسف مزري وتأوه ثم أشعل سيجارة وقال:

- والله إنك حياة يا حياة إن اسمك ينطبق كل الانطباق على جسمك، حسنا هل تعرفين رجلا بهذا الاسم عبد الخالق المبتور؟

ابتسمت سميرة نعيم بدهاء فقال لها منذهلا وقد تملكه الانذهال.

- أراك تضحكين يا حياة هل تعرفينه أنه مساح أحذية.

- لقد أضحكني اسمه يا سيدي إني لم أسمع بهذا الاسم يوما ما إلا هذا اليوم يا سيد يوسف.

والحقيقة لقد ضحكت سميرة لأنها كانت تعلم بأن توفيق حسام قد تقمص بهذه الشخصية وانتحل هذا الاسم العجيب، فقال لها يوسف مزري:

- وأنا نفسي قد أضحكني هذا الاسم لقد أتى هذا الرجل يمسح أحذيتي من زهاء يومين في بيتي وأنا لم أرسله على الاطلاق وقد سألت عنه بعض الموظفين فلم يعرفه أحد بل وضحك كل من سمع بهذا الاسم، ولكني إن عثرت عليه سأبتر رجليه اللتين مشتا إلى بيتي، وضحك يوسف ضحكة عالية رن صداها في أنحاء المكان وقال:

- والله إنه اسم يرغم الانسان على الضحك من أين هبط هذا اللعين اللطيخ على داري وتبرع بمسح الأحذية إنه جاسوس بلا ريب، إن هذا المشين لا يمر علي.

- لقد نسيت ما لأجله أتيت يا سيد يوسف إني أطلب شغلا إذا كان في مقدورك أن تساعدني على ذلك.

وقبل أن يجيب يوسف فتح الباب ودخل عملاق آخر فتفرس بسميرة وتبادلا نظرات الاعجاب فكان الرجل قريب الشبه بيوسف فأحنى قامته أمام الفتاة ودنا من يوسف قائلا:

- لقد أتم ميناس كل شيء والدار جاهزة للإيجار هل أنت موافق يا يوسف على التوقيع.

وقبل أن ينطق يوسف مزري دس القادم ورقة تحت كتاب ضخم موجود على المكتبة وجذب الرجل الغريب يوسف من يده وخرجا من الغرفة.

ودنت سميرة نعيم ورفعت الكتاب بخفة ورشاقة وتناولت الوريقة وقبل أن تتمكن من فضها دخل يوسف فدستها في صدرها وأطرقت بنظرها إلى الحضيض فجلس يمعن النظر بوجهها الجميل تم رفعت بصرها فتلاقى النظران وتبادلا الابتسامات فقال لها وهو يزدرد لعابه:

- لقد قطع علينا الحديث هذا القادم القليل الحياء نعم بماذا كنا نتجاذب أطراف الحديث، وما هو الموضوع الذي كنا نلجه؟

ثم جذب الكتاب وتفقد ما تحته فلم ير شيئا فاضطرب ولمع بريق الغدر في عينيه وعلا الاصفرار محياه فقال بصوت حاول أن يجعله هادئا:

- هل أخذت شيئا من تحت الكتاب يا حياة بينما أنا في الخارج؟

- ما هذا الشيء يا سيدي علبة سجائر أم ساعة؟

نظرت إليه سميرة نعيم نظرة الدهشة وسوء المظنة فقال لها:

لا لا أعني لقد وردني كتاب البارحة من صديق فتذكرت الآن أني وضعته بدون انتباه تحت هذا الكتاب

فأجابته سميرة نعيم بصوت اللائم وبحدة - لم يكن من عادتي سلب الأشياء من أصحابها يا سيدي.

- لا تستائي يا حياة إني المخطئ عساه يكون قد سها هذا الأحمق اللطخ ولم يضع شيئا، من بعد إذنك يا آنسة.

اعتذر يوسف مزري وغادر الغرفة فأسرعت سميرة وفتحت الوريقة وقرأت ما يلي:

٣٠٠,٤٥ – ١٥٠,١١٠ هذه الليلة - أعادت الفتاة هذه الأرقام ودست الوريقة تحت كتاب ضخم موجود على المكتبة ولكن في الناحية الأخرى من اليمين مقابل الكتاب الذي كانت الوريقة تحته وعلى الأثر دخل الرجلان يوسف والغريب يرتعدان فقال الأخير بغيظ:

- لقد وضعتها كما قلت لك تحت المجلد ههنا إني لست غبيا كما تزعم يا صاح وضرب يوسف الطاولة بيده بحنق وقال سأهشمك إذا لم أعثر على الرسالة يا غبي.

ورمق الرجل الغريب سميرة نعيم بنظرة يتطاير منها الشرر كأنه يقول لصاحبه، انتقم من هذه الغادة لا مني أنا - وراح يوسف مزري يتناول الكتب الموجودة على المكتبة ويضعها على الأرض بينما كانت سميره تنظر إلى مرآة جزدانها وتصفف شعرها وتسرحه بمشط صغير

وقـد وصـل الـدور إلى المجلـد الضخـم فجذبـه يوسـف بغضـب ولكـن الوريقـة كانـت تحتـه فتناولهـا بسرعـة ونظـر إلى زميلـه شـزرا وقـال:

- إنـك لاهٍ وضعـت الكتاب في مـكان غير متفق عليه يا جبس.

- قلـت لـك لقـد وضعـت الوصيـة تحـت هـذا المجلـد مـن جهـة اليسـار لا مـن جهـة اليمـين ثـم غمـز الرجـل الغريـب يوسـف مـا معنـاه أن الفتـاة اسـتلت الوريقـة خفيـة بينـما هـما في الخـارج. وشـخص يوسـف إلى صاحبـه لا يصـدق مزاعمـه وتشـدقه وقـال:

- اصمـت اخـرس إنـك متيـم عاشـق إن العشـق قـد أفقـدك وعيـك، ولكننـي مـسرور الآن لعثـوري عـلى الرسـالة.

والتفـت الغريـب إلى الفتـاة وهـي تـسرح شـعرها كأنهـا ملـك قـد هبـط مـن السـماء، وطفـق ينقـل النظـر بـين صاحبـه يوسـف وبـين الغـادة الهيفـاء الحسـناء، تـم لمزيـد غبطتـه لعثـور صاحبـه عـلى الوريقـة دنـا مـن سـميرة قائـلا بصـوت الصـب الولهـان:

- حبيبتـي مـا أجملـك - ذعـرت سـميرة وتجهـم وجههـا فنظـرت إلى يوسـف كأني بهـا تسـأله مـا معنـى هـذا؟

وضرب يوسـف مـزري الطاولـة بيـده وقـال أغـرب أيهـا الزنيـم قبـل أن أهشـم رأسـك.

وانحنى الغريب بكل أدب وغادر المكان فقال يوسف مزري معتذرا:

- يا حياة إن شبان هذا الزمن قلوبهم شفافة يهيمون لدى مرآهم وجها جميلا أو قواما فتانا ممشوقا وتقبلي اعتذاري، والآن إني مشغول جدا فأرجئي أمر العمل إلى ميعاد آخر يا بنيتي هل أنت مستاءة أيتها الآنسة؟

وقفت سميرة وقالت وهي تحاول الانصراف، إني لا أستاء يا سيد يوسف فإن خلقك السامي وأدبك الجم يفوقان كل عقبات أصادفها. - ثم وضعت يدها على رأسها مودعة وانصرفت.

* * *

دخل فريد بك منزل داود باشا مرزوق والساعة تنذر بالرابعة مساء فاستقبله رب البيت بكل حفاوة وإكرام وتقدمه إلى غرفة الاستقبال ذات الرياش الفاخرة وبعدما استقر الجلوس بالمدير قدم له الباشا علبة سجاير من النوع الفاخر فتناول سيجارة وأشعلها ثم نفث الدخان من فيه بالهواء فقال له الباشا

- أهلا وسهلا بملك البوليس إن الشعب بأسره يعلل الآمال بمهمتكم الشماء يا بك عساكم قد وصلتم إلى ما فيه لخير الأمة.

- والله يا داود باشا لقد أتيت ازوركم بصورة رسمية أولا لتقديم فروض التعزية. ثانيا لأطرح بعض أسئلة تتعلق بمقتل يوسف ماجد المرحوم.

تـأوه داود باشـا وقـال - واللـه يـا بـك إن المرحـوم كان يقـوم عنـدي مقـام الابـن المحبـوب وإن موتـه قصـم ظهـري ولكـن كل هـذا حكـم اللـه تعـالى، لقـد كان المرحـوم متخوفـا وكأني بقلبـه كان يدلـه عـلى أن المنيـة تنتظـره عـلى يـد هـؤلاء الأشـباح الأوشـاب الأوبـاش، كـم تأثـرت يـا بـك وكـم بكيـت عـلى موتـه وفراقـه إن المسـكين كان وحيـد بيتـه وعائلتـه، لقـد انقـرض اسـمه وذكـره إلى الأبـد لا لجريمـة اقترفهـا أو لذنـب أقـدم عليـه بـل ذهـب ضحيـة الاعتـداء والاغتيـال ومـات ظلـما وعدوانـا هـل هـذا يـرضي اللـه تعـالى؟ هـل هـذه الأعـمال تـشرف صاحبهـا هـل يعـدون الاغتيـال رجولـة؟ واحـد مدجـج بالسـلاح والآخـر أعـزل واللـه إن أعـمال هـذه العصابـة نذالـة مـا مـن بعدهـا نذالـه يـا فريـد بـك.

- إني موافـق عـلى أقولـك يـا باشـا ولكـن القانـون والتحريـات سـائرة عـلى سـاق وقـدم. هـل رأى أحـد منـا تقصـيرا أو اغضـاء أو تهاونـا؟

- إنـك بهـذه الزيـارة يـا بـك قـد ضمـدت جـروح قلبـي إني لا أنـسى لـك هـذه المكرمـة وإني أشـكرك عـلى هـذا التنـازل

- يـا باشـا إني خـادم القانـون والواجـب يحتـم عـلى السـهد ولسـت أنـا مترفعـا إلا عـن المجرمـين الأشرار، إن هـذا لا يعـد تنـازلا بـل واجبـا وفرضـا سـأظل الخـادم الرضـوخ المطيـع للقانـون وللواجـب، والآن يـا أبـا جـبر أود أن أسـأل سـؤالا واحـدا إذا سـمحت لي بذلـك.

- سل ما تشاء يا بك وإني لك العضد واليد اليمنى بكل ما يتعلق بقضية هذه العصابة الغاشمة الكافرة وأنا خادم القانون على الوجه الأكمل.

- لقد اتفقنا إذا هل لك ثقة بالبواب سليمان عارف خادمك؟

- آه بواب منزلي إن لي به ثقة لا تغلب يا بك وإنه أمين شهم ذو اخلاص وحمية وغيرة وورع ويؤمن بالله وباليوم الآخر.

- إذا إنك لا تشك بإخلاصه على أية حال وأنه موضع كل ثقة؟

- بدون شك لقد قضى حتى هذا العام عشر سنين في خدمتي وقد ساعدته بالزواج ولم أر منه شيئا يثير ريبتي وظنوني من نحوه.

- شكرا يا باشا اتسمح لي بطرح بعض الأسئلة على أخت الفقيد، لقد علمت أنها ما زالت في منزلك العامر وتحت حمايتك.

- هذا صحيح يا بك إن الفتاة عالية الأخلاق وقد رأيت ألا أدعها تعيش بمفردها كالوحيدة ولا مسل أو معز لها بل ولا أكتمك السر أن ابني جبر غدا يحبها وقد فاتحتها امرأتي بأمر الزواج منه متى مضت مدة الحداد وسأتخذها بمثابة ابنتي وفي منزلة أمينة فتاتي بالذات.

- لقد أصبت الهدف هذه المرة هل تسمح لي أن أراها يا باشا؟

- بلا شك سأدعوها وأدعو أمينة أيضا فإنها حين تراك يا بك تشعر كأن أبواب السماء انفتحت لها.

- عفوا يا باشا ما هو اسمها إني لا أعرفه وعدم المؤاخذة.

- اسمها أسمى ماجد وسأدعوها، من أذنك برهة واحدة يا بك.

غادر داود باشا المكان وبعد انصرافه تناول مدير البوليس دفترا من جيبه وقلما وسطر على القرطاس، وعلى الاثر رفع رأسه على صوت نحيب يمزق نياط القلوب ويفتها.

كان القادمون داود باشا وأسمى ماجد وأمينة فتاته وامرأته شفيقه وجبر نجله الأوحد، فوقف المدير يصافح أسمى المفجوعة قائلا:

- سلامة رأسك يا بنيتي ليرحمه الله إن الموت والحياة بيده تعالى.

ثم صافح القادمين وبعدما جلس الجميع قالت أسمى ماجد باكية:

- يا بك لقد كان يوسف الأخ الحنون فأصبحت بعد مماته بلا أزر وبدون عضد كان لي بمثابة الأب والأم والأهل يحنو علي ويعطف لقد غدوت يتيمة، فإن المال لا يجدي نفعا والقصور تظل في مكانها إلا الانسان فإنه يترك كل شيء ويرحل إلى ذاك الراموس الحقير في حد ذاته الذي يضم العظماء والضعفاء، لقد حرموني النظر إلى رؤيته وفجعوني بموته. كان يجلس هنا على هذا الكرسي ضحوك السن فأطلقوا عليه النار وفي أقل من لحظة هوى ميتا يا رباه، إن الله العلي العظيم سينتقم ونثأر له من قاتليه ويقتص منهم ويناقشهم الحساب ويوقع بهم أشد العقاب. لم أره مرة يسيء إلى مخلوق ولم يعتد على أمرئ، كان هادئ الطباع عذب الألفاظ فقد اغتالوا شبابه حيفا وتعسفا حتى

أقضي بقية عمري موجعة حزينة، لن أنساه لن يبرح خلدي يا أخي الحبيب.

انفجرت أسمى ماجد باكية وأبكت الحاضرين قسرا بالرغم عنهم، أما فريد بك الذي كان يعتصم بالصبر وهو مستعصي الدموع قد أثر به الموقف وانحدرت عبراته قسرا فجففها بمنديله وأسرعت أمينة مرزوق وهي تنتحب إلى ضم أسمى والترفيه عنها، فقال داود باشا:

- إن بكاء أسمى يؤلمني أشد الألم ويرغمني على ذرف الدموع، يا بنيتي ضعي ثقتك بعد الله بفريد بك إنه سيثأر وينتقم والقانون سيطارد هؤلاء الرعاع ويمزقهم شذر مذر.

وعز على فريد بك هذا المصاب فقال بصوت يتبين منه الوعيد:

- لا بأس سأقبض على شبح واحد على الأقل ولكن سأجعل له درسا تردده صفحات التاريخ.

فقال جبر وهو يجفف عبراته المتساقطة - يا أسمى أن فريد بك بمثابة الأب لك ومن واجب الأب السهر على أولاده إننا اولاد الحكومة أليس كذلك والحكومة مسؤولة عن حمايتنا.

وانفجرت أمينة باكية بصوت مرتفع وقالت بأعلى صوتها - حكومة هائلة قائمة في البلاد والرعاع السفلة الأدنياء يعتدون على الناس.

فأجابتها أمها وهي الأخرى تمسح دموعها بمنديلها:

- لـكل بدايـة نهايـة فـاذا عـاث الأشـباح الأردياء فسـادا الآن فلـن يعيثـوا شرا فيـما بعـد إذا ظلـت الحكومـة تطاردهـم وتقفـو أثرهـم. يـا فريـد بـك إذا قبضتهـم عـلى شـبح واحـد فهشـموا جمجمتـه واقطعـوا لسـانه واجدعـوا أنفـه وشـوهوا وجهـه، ائتـوني بـه حتـى أعلمـه كيـف يكـون الانتقـام.

وهـز فريـد بـك رأسـه هـزة التصميـم عـلى الانتقـام مـن النـوع الـذي تقشـعر لـه الأبـدان ولم يجـب، فقـال داود باشـا مـرزوق:

- والآن يـا بنيتـي يـا أسـمى إن سـعادة فريـد بـك يـروم أن يسـألك بعـض الأسـئلة أبوسـعك الإجابـة أم نرجـئ ذلـك إلى اشـعار آخـر؟

- وأجابـت الفتـاة وهـي تـشرق بالدمـوع سـل يـا سـيدي مـا تريـد... فسـألها فريـد بـك:

- يـا آنسـة هـل كان مـن علاقـة بـين أخيـك المرحـوم يوسـف وبـين شـخص أو اشـخاص آخريـن؟

- أية علاقة تعني يا سـيدي المدير؟

- أعنـي علاقـة صداقـة أو صلـة تجاريـة أو ماليـة أو خصوصيـة بينـه وبـين غـيره.

- لا علاقـة لأخـي المرحـوم بأحـد، ولم يكـن يؤمـن طـرف إنسـان إلا بيـت عمـه داود باشـا.

- حسـنا ألم يكن لأخيك المرحوم أعداء، لا تخشي شرا يا أسـمى؟

- إني أتمنى الموت من كل جوارحي يا بك بعد مات أخي ولكنني لا أجزم بأنه كان لأخي أعداء ولو كان له عدو واحد لأعلمني عنه، إن أخي المرحوم كان شديد الحرص والحذر وأقل شيء كان يقلق ضميره وراحته، ولو كان من عدو له فإن أخي لا يستطيع الرقاد أبدا لكثرة هواجسه فإن شعاره عدم مس إنسان أو ايصال السوء والأذى إلى الناس.

- يا أسمى تذكري فيما إذا كان يدخل أحد بيتك أو يتردد عليكم أو ما شاكل.

- آه نعم يا بك إن رجلا قد حاول أن يعقد خطبته عليّ من زهاء أربعة أشهر ولكنني رفضته بإباء وشمم.

واشرأب فريد بك بعنقه وقال بحماسة وحمية وقد اعتدل في مقعده - صفي لي هذا الرجل يا اسمي وصفا دقيقا، استريحي قليلا إذا كنت متعبة فإن على وصف الرجل يتوقف كل شيء.

وهتف داود مرزوق باشا قائلا - يا اسمي لا تخافي أحد وأنا موجود قولي كل ما تعرفينه عن هذا الرجل، إن فريد بك من أصدقائي القدماء وهو رجل صعب المراس عنيد للغاية لا يهاب صدمات المنون.

- نعم يا بك إن هذا الرجل الذي حاول أن يخطبني قد رأيته مرة واحدة فيها أتى مع رفيق له لا يشبهه على الإطلاق، وهيئته طويل القامة عريض المنكبين ضخم الهامة غليظ الصوت دلائل وجهه تنطق بأنه ثقيل الدم بارد الحديث كثير الفضول في الكلام.

كان فريد بك يسجل أقوال الفتاة التي استطردت متابعة قولها:

- آه لقد تذكرت اسمه انه يدعى أديب عبد الله.

- يدعى أديب عبد الله برافو يا أسمى إني مسرور منك الآن جد السرور إنك ذات ذكاء حاضرة البديهة سريعة الخاطر.

- ولكنني بدون أخي المرحوم لا أسوى شيئا يا سيدي البك.

وحدث أنين من الموجودين وعلى الاثر أقبلت الخادمة بأقداح القهوة وبعد برهة وقف المدير يصافحهم وهو يقول:

- لقد وصلنا إلى نتيجة مرضية لها حل والأيام بيننا فإن الكفاح لن يهدأ من الآن وصاعدا.

الفصل الثَّامن
اللُّغز

عـاد الثلاثـة توفيـق وسـليم وسـميرة إلى دائـرة التحـري السـاعة السـابعة مسـاء ولم يجـدوا مديرهـم هنـاك لتقديـم التقريـر، ولمـا دخـل توفيـق مكتـب مديـره أبـصر أمـرا عليـه فقـرأ فيـه مـا يـلي:

حـين عودتكـم أنـت وسـليم وسـميرة إني بانتظاركـم في بيتـي وأصحبـوا معكـم التقريـر عـما حـدث معكـم في مـدة الأربـع والعشريـن سـاعة.

فريد فوار

٢٨ ابريل سنة ١٩٣٠

وخـرج توفيـق قائـلا - إن فريـد بـك بانتظارنـا في بيتـه هلمـوا للذهـاب إليـه، وأنـت يـا سـميرة خـذي معـك التقريـر. - ثـم خـرج الثلاثـة يسـيرون في الشـارع متفرقـين كل واحـد في جهـة.

أمـوا منـزل المديـر فتلقاهـم عـلى البـاب مرحبـا ثـم حجـز كل لنفسـه مقعـدا في غرفـة الاسـتقبال وللحـال أقبلـت نهـاد امرأتـه تصافـح أعـوان قرينهـا ثـم قالـت:

- كـم تأثـرت لمقتـل جـمال باشـا وهـاب. إن عصابـة الأشرار قـد نالـت قصـب السـبق بارتـكاب أفظـع الجرائـم وتفاقمـت شرورهـا حتـى بـات الجميـع يرتعـد مـن ذكـر اسـمها، فريـد إذا عثرتـم عـلى فـرد مـن أفرادهـا مثلـوا بـه التمثيـل الشـنيع ومزقـوا أذنيـه وأسـملوا عينيـه، لقـد حرمـوا يوسـف ماجـد

مناظـر الحيـاة ومباهجهـا وكذلـك عملـوا عـلى شـنق صاحـب الحانـوت. إن هـؤلاء لا ضمـير لهـم.

- فقال لها قرينها فريد بك، هل أعددت العشـاء يا نهاد؟

كانـت نهـاد عـلى قسـط وفـير مـن الجـمال جذابـة الألفـاظ مـن بيـت عريـق في النبـل والأدب لكنهـا ديمقراطيـة الطبـاع ذات أنفـة وعـزة نفـس فأجابـت.

- إن الخادمـة تجهـزه أخـبروني هـل وصلتـم إلى نتيجـة حاسـمة؟ - فأجابهـا توفيـق:

- سـنصل بعـون اللـه إن رجـال العصابـة قـد ابتكـروا كل طـرق المعـاصي وهـم في النهـار مـن أهـل الوجاهـة والجـاه العريـض ومتـى خيـم الظـلام مـن أشر الخلائـق وأدناهـا وأحقرهـا.

فقالـت نهاد المرأة المصون:

- ولكـن حافظـوا عـلى فريـد بـك فـإن عيـون العصابـة سـترقبه للإيقـاع بـه هـل تعـدوني بذلـك. فأجابهـا سـليم:

- إنـا لا نكلـف فريـد بـك بمهاجمـة أحـد ومهمتـه محصـورة في رسـم الخطـط وسـد السـبل أمـام الأشرار أمـا المطـاردة فهـي منوطـة بنـا نحـن يـا سـيدتي.

- ولكنـي لا أسـمح أيضـا بإيذائكـم وضرركـم فيجـب عليـك المحافظـة كذلـك عـلى سـميرة إنـك حسـناء يـا سـميره.

وتصافحت الاثنتان من جديد فقال فريد بك:

- لقد زرت بيت داود باشا مرزوق ولكني شاهدت بأم العين حالة تفتت الأكباد وتمزق الأوصال، حالة تلين الجلمود الأصم. بكاء نحيب عويل أسى حزن إن مناحة قد حصلت أمامي من أسمى ماجد وأرغمني على ذرف الدموع، والآن لقد رأيت أن الحديث في بيتي أضمن عاقبة فههنا لا يسترق أحد السمع. وأنت يا سميرة عليك أن تتعرفي على شخص اسمه أديب عبد الله ولكن بصورة لا تثير الريبة والظنون، فإن هذا الرجل قد حاول من مدة أربعة أشهر عقد خطبته على أسمى ماجد ولكنها رفضته ولم تعتن به مطلقا.

فقالت نهاد مسرعة - فريد عساه يكون قد أضمر الغش وكمد الشر فعمل على اغتيال شقيقها يوسف المرحوم.

- طيبي نفسا يا نهاد فإننا لا ندع طريقا إلا ندخله، ولا نرى محلا إلا نحتال على التنقيب فيه وتفتيشه والعثور على غوامضه.

وعند ذاك قدمت سميرة تقريرها فقرأه المدير، تم توفيق، ثم سليم، ثم نهاد التي أمعنت النظر به وقالت - ما لغز هذه الأرقام، ٣٠٠,٤٥ - ١٥٠,١١٠، هذه الليلة. برافو سميرة لقد أجدت تمثيل دورك يا آنسة.

وعصر المدير صدغيه بأصابعه ثم رفع رأسه وقال - آه لقد عثرت على حل اللغز ٤٥ مغزاه أول وآخر حرف من اسم منيرة، و٣٠٠ أول وآخر حرف من رازق. وصفق له الحضور فقال سليم:

- والله يا بك إنك عبقري فذ - وأستطرد المدير ١١٠ أول وآخر حرف من سليمان و١٥٠ أول وآخر حرف من عارف، والمعنى هنا منيرة رازق وسليمان عارف. أما الأولى فهي الشاهدة والمخبر بحادث عبد الله عراف، أما سليمان عارف فهو بواب عن داود باشا مرزوق الذي كنت أزوره اليوم وكلمة الليلة فهي مفهومة بجلاء أما كلمة ميناس فهي منيرة وسليمان، الميم الأولى ترمز إلى منيرة والسين الأخيرة ترمز إلى سليمان، ولكن يا سميرة استعملي كل الحذر في المرة الأخرى وأعيدي الرسالة إلى مكانها الأصلي، فإن هذه المرة انقضت بسلام ولكنك في المرة الأخرى تصبحين في خطر من مراقبتهما لك أتفهمين يا ولدي ما أعني؟

- نعم يا بك ولكن ضيق الوقت أحرجني فاضطررت أن أدس الوريقة تحت المجلد الآخر مرغمة.

- لا بأس احتاطي لكل أمر في المرة الأخرى والآن سأتصل بدائرة البوليس حتى ترسل قوة إلى بيت منيرة وبيت داود باشا كيلا يقع ما ليس بالحسبان، وسأذهب فيما بعد المراقبة الشارع، اما توفيق فيقصد دار داود باشا وأنت يا سميرة تفهمين دورك الذي يجب أن تلعبيه.

تم غادر الجميع المكان إلى غرفة الطعام والتفوا حول مائدة جمعت الألوان العديدة الشهية بينما كان المدير يخاطب بالتلفون دائرة البوليس قائلا:

- أرسلوا قوة من البوليس المدجج بالسلاح إلى شارع الخليج المصري

وبعد ساعة تأخذون التعليمات مني أنا بنفسي، وكذلك أوفدوا قوة أخرى إلى حي الجزيرة للمحافظة على بيت داود باشا مرزوق وسأرسل التعليمات مع معاوني بعد ساعة على الأكثر.

كانوا يتناولون الطعام مغتبطين والحبور يعلو الوجوه يتفكهون ويتساهمون ثم لما انتهوا من العشاء غادروا المكان كل إلى هدفه ونهاد تقول:

- فريد اقبضوا على شبح واحد أحمر حتى أحبسه في القفص وأبلغ رفيقاتي ليتفرجن عليه.

* * *

كانت سميرة نعيم تسير في شارع عماد الدين بكل بطء وجزدانها في يدها وقد أخفت معالم وجهها بفضل الصبغة والدهون، ثم أمت مقهى يغشاه الذوات البذخاء وعليّة القوم وأرباب المقامات والشخصيات البارزة. وحين دخولها لم تلتفت إليها الأنظار فإن المقهى كان للعائلات وهو على قسط وفير من الترتيب والزخرفة والأناقة فانتحت إلى جانب وجلست في ركن منعزل، وبعد قليل امتثل أمامها الكرصون وسألها ما تأمر - فقالت - كاتو مع شاي وحليب.

وبعد ما أحضر الكرصون الطلب دخل رجلان عملاقان يشبهان بعضها بعض كل الشبه عرفتهما على الفور فإن أحدهما كان يوسف مرزي والآخر رفيقه الذي دس الوريقة تحت المجلد.

جلس الرجلان حول مائدة ولم تمض برهة وهما يرتشفان الويسكي حتى قال يوسف:

- إن تلك الفتاة التي في الركن حسناء يا عبد الله وهي تصلح للمغازلة بالنسبة اليك عليك بها أما أنا فإني متزوج، فقد انقضى عهد صباي ومضت أدوار غزواني الليلية عليك بها انهض.

ضحك عبد الله بصوت مرتفع وقال: - وإذا صدتني يا يوسف؟

- إنها لا تصدك تقدم بكل أدب أطلب منها مراقصتك فإن الجنس اللطيف لا تغريه إلا أساليب اللين والاطراء والمديح.

ونهض عبد الله بكل بطء ومر من أمام الفتاة سميرة واختلس النظر إليها من طرف عينه لكنها تظاهرت بعدم الاكتراث له وأطرقت بنظرها إلى سطح الطاولة.

وعاد إلى المرور من جانبها لكنه توقف وقال - مساء الخير يا آنسة.

- مساء الخير - جلس عبد الله وقال لها بكل لطف وحذر:

- إنك حسناء هذه الليلة يا آنسة فإن كل هذه الأنوار الساطعة لا تضاهي نور محياك الصبوح.

ضحكت الفتاة معجبة وقالت بلهجة مغرية - إنك جذاب من أين تعرفني؟

- إني أعـرف كل غـادة مـن النظـر إليهـا إن فراسـتي لا تخطـئ البتـة هـل تريديـن مشروبـا مـا؟

- لا لا فأنا لا أرغب البابلية على الاطلاق وقد طلبت وارتشـفت.

- هل تجيدين الرقص يا آنسـة إن العزف كاد يبدأ؟

- وهـل حضرتـك تجيده إن الدلائـل لا تظهر عليك إنك من الراقصين.

وانتفخـت أوداج عبد اللـه وتصلبت قامته فقال بزهو وخيلاء:

- إني مـن أبـرع الراقصين تقريبا هل تريدين مراقصتي يا آنسـة؟

- ليـس الآن إني متعبـة بعـد برهة أخرى من هو هذا الذي أتى برفقتك؟

- ذاك الرجـل إنـه أخـي واسـمه يوسـف مـزري مديـر مكتـب نجيـب بـك سـالم.

- إنه أخوك إذا وما هو اسـمك أنت إنك لطيف لذيذ المعشر.

- إن اسـمي عبد الله مزري ومهنتي وكيل أملاك أخي.

- إن أخـاك مـثرٍ إذا، هل أنت متزوج يا عبد الله؟

طـرب عبـد اللـه لهـذه الفقـرة فإنهـا لفظـت اسـمه بـدون لقـب دلالـة أنـه نـال نعمـة في عينيهـا فابتسـم وقـال:

- الحمد لله إني أعزب أما أخي فهو متزوج، والمتزوج لا يصلح لمراقصة الحسان.

ضحكت سميره وتمايلت فأحسّ عبد الله بقلبه يخفق ويدق لمرآها الجميل المغري فقال بكل أدب وهو ينتقي الألفاظ انتقاء:

- لم تعلمني الآنسة عن اسمها؟ - إن اسمي صبحية عبد الجبار.

- إنه اسم لذيذ الوقع على السمع وآنسة أيضا؟ - بدون شك آنسة.

وتاه عبد الله من مزيد حبوره وفرحه هياما، فقال ضاحكا بشدة:

- لقد اتفقنا إذا إني واسع الثروة سأطرح أموالي تحت قدميك إني متشوق للعثور على فتاة مهذبة ذات ثقافة وكأنني بالحظ قد ناصرني وحالفني اليوم.

- يا لك من فاتن يا عبد الله إنك جمّ المحاسن حلو الحديث طيبه.

- والله يا صبحية لقد أصبحت محظوظا ولن أبالي لشيء بعد الآن وأنت راضية مسرورة، إن المرء لا يملك في هذه الدنيا إلا ما يتمتع ويحظى به من سعادة، وأما المال والخول فهما عدوان له فيظلان في الدنيا في حين هو يغادرها.

- هذا هو الصواب يا عبد الله فإن الجميع يموت وأسعد أيام الانسان الطمأنينة والله وراحة الضمير واللب.

كانت سميرة محنكة قديرة وقد انتخبها فريد بك فواز لمثل هذه المهام الجسام إنما كل ذلك لطلاقة لسانها وثقافتها ومقدرتها ودهائها، بينما هي تتظاهر بالهدوء والسكينة ولا يلاحظ الناظر إلا وداعتها في حين أنها لا أكثر ولا أقل من ممثلة تجيد القيام بدورها وتمثله أتقن تمثيل. كان المدير يعتمد عليها كل الاعتماد ويخشى أن تصاب بضرر من جراء تهورها ولكنها كانت تعتمد على قوتها الجسمانية اعتمادا يفوق الوصف والحد، والكل يجهل هذه الموهبة التي تتحلى بها ولا يعرف إلا أنها فتاة لينة العريكة هيفاء كباقي الغادات الحسان.

جذبها عبد الله من يدها بكل لطف وقد تعمدت أن يتلاقى نظرها بنظره فصعد الدم إلى وجهه من الحياء فقالت له:

- لا يا حبيبي دعني إني منهوكة القوى لا أستطيع السير وقد أتيت لأستريح قليلا ثم أعود إلى البيت.

ولكن كلمة حبيبي التي نطق بها لسانها قد ألّبت مشاعره وهزّت فرائصه فقال لها كالمتوسل الضارع أو كأسير جمالها ودلالها:

- يا صبحية أتريدين بعض النقود إني أراك منقبضة الصدر هذا المساء هل أنت موجعة يا آنسة؟

- لست موجعة إني أشكرك على اعتنائك بي وكذلك إني لست بحاجة إلى نقود إني بمسيس الحاجة إلى صديق وفيّ مخلص.

- إني الصديق المخلص الوفي هل تريدين خدمة ولأنقضن على الموت ولا أهابه في سبيل إسعادك ورفاهك.

- شكرا يا عبد الله إني لا أدفعك إلى ما ينالك بسوء.

- إن لك هدفا ولكنني سألبيه لك أفصحي يا صبحية ألسنا أصدقاء؟

- لسنا أصدقاء بالمعنى الصحيح يا عبد الله فإني لا أعرفك إلا هذه الليلة.

- ولكنني صديق مخلص من الآن وسأتفانى في سبيل الاخلاص والوفاء لك أيتها الآنسة ألا ثقة لك بي؟

- لقد تراءى لي اخلاصك ووفاؤك من أول لحظة رأيتك فيها ولكني غير متأخرة ههنا سأعود بسرعة إلى البيت.

- ألا تريدين أن تشاركيني في رقصة واحدة يا آنسة؟ اسمح لي يا عبد الله هذه المرة ودع ذلك إلى فرصة أخرى إن الوقت يمر بسرعة وقد تجاوزت الساعة العاشرة سأمكث ساعة أخرى ثم أعود أدراجي من حيث أتيت.

- لك ما تشائين يا صبحية فإني أتحاشى نفورك وإزعاجك هل تسمحين لي بالبقاء بجوارك؟

- دعني من فضلك أناجي نفسي فإنني أود الانفراد والعزلة هذه الليلة، إنني ممعورة.

وقف على الفور عبد الله مزري وانحنى مودعا وعاد أدراجه إلى أخيه الذي قال له:

- ماذا هل أفلحت في مسعاك؟

- والله يا يوسف لقد سدت عليّ المسالك والمذاهب لقد أسرني جمالها الفضاح ولكنني لا أود ازعاجها.

سأعمل على طلب ودها وتراني أنت إني ذاك الرجل المراود المحنك.

- إن هذه الغاده أريبة بدون شك ولكنها جذابة الملامح جمالها يأخذ بالأبصار ويعصف بالقلوب، اجلس نتسامر يا عبد الله إنك حديث العهد في هذا المضمار فإن من شيمتك الخلود إلى السكينة والهدوء لا إلى المغازلة والمداعبة إنك ما زلت طفلا ثق بذلك، ولو كنت مكانك عملت على سبر غورها وتركتها صريعة حبي وهيامي.

* * *

ظلت سميرة إلى منتصف الحادية عشرة ليلا وقد دعاها كثيرون للاشتراك في الرقص فكانت تصرفهم بلطف ولم تلب نداءهم ومطالبهم، ثم عند ذلك دفعت ما عليها وغادرت المكان ويوسف وعبد الله مزري يتبعانها بأبصارهما، وما كادت تطأ رصيف الشارع حتى أقبلت عربة يجرها جوادان وقال الحوذي وهو ضخم الجثة كالفيل بصوت أجش - تفضلي يا آنسة.

صعدت سميرة نعيم إلى العربة التي اندفعت مسرعة بهمة الحوذي الذي ألهب الجوادين بالسياط، وظلت المركبة سائرة حتى وصلت شارع الأهرام ووقفت هناك فهبطت سميرة نعيم بكل عجز وقالت بصوت كالهمس:

- سليم إني أشعر بغم كثيف يهبط على قلبي إني منقبضة الصدر ودافع خوفي ينذرني بوقوع أمر جلل، أني لا أدري ما لهذا الانقباض وهذا الغم من سبب إني وجلة يا سليم.

وانحنى الحوذي وهو سليم صابر نفسه حتى لامس رأسه رأسها وقال بصوت خافت وهو يلضلض:

- إني لا أبتعد قليلا حتى أعود اليك لا تخشي شرا سأظل بجوارك يا سميرة لا تستسلمي للأوهام والدوافع الخفية المقيتة.

كان بيت سميرة نعيم يبعد عن رصيف الشارع مقدار عشرين مترا وذلك لوجود جنينة صغيرة أمامه ولها جدار كسور يرتفع مقدار متر ونيف فلما داست رجلاها أرض الرصيف اتجهت إلى البيت تمر من طريق ضيق في الحديقة وقد تابع الحوذي سليم صابر السير بمركبته.

وما كادت تصل باب البيت حتى شعرت بيد من فولاذ تقبض على منكبها بعنف فاستعاذت من الألم فالتفتت فأبصرت شبحا أحمر اللون بجوارها هائل الحجم رهيب المنظر ضخم الهيكل، فجمعت قبضتها ولطمته بعنف على وجهه فتألمت ونزف الدم من يدها التي ارتطمت

بجسم صلب من فولاذ فإن الشبح كان يرتدي ثوبا فولاذيا من ناصيته إلى أخمص قدميه، فحاولت أن تستل مسدسها من جزدانها وهي تتأوه ولكن الشبح ضغط بيده على كتفها فشعرت بأصابعه تغرز في لحمانها تكاد تسحق عظام منكبها فتلوت من الألم المبرح لأن أصابع الشبح كانت كالمقصات وصاحت بكل ما أوتيت من قوة بصوت دوى في كل تلك الرجاء من قلب موجع:

- سليم بربك إلى إغاثتي.

وكان سليم يجلس في مقدمة العربية فماسك الصوت مسامعه حتى هب قاذفا نفسه على أرض الشارع يخطرف وقد استل مسدسه الضخم يعدو بكل قوته واقتحم باب الحديقة فرأى الشبح يشهر مسدسا وسميرة تنوح وتبكي وتستغيث صارخة. كتفي سليم لقد تهشم منكبي.

أطلق سليم النار على الفور وأحدث الرصاص دويا في سكون الليل وتبادل الاثنان العيارات النارية فتوارى سليم بالعامود الكهربائي المضاء وراح يطلق الرصاص بتتابع مستمر فأصاب الشبح الذي ترك سميرة واتجه إلى سليم يتبادلان إطلاق العيارات النارية.

وسقطت سميرة نعيم جثة هامدة لا حراك بها وانقض سليم كالغول يشهر مسدسه الضخم ويقدف الرصاص تباعا والشبح يرد عليه بالرصاص وهو يسير ببطء حتى وصل منتصف الشارع.

ولكن العجيب في الأمر أن رصاص سليم صابر كان يصيب الشبح ولكنه

يمر عنه ولا يخترق جسده الفولاذي واشتدت الحيرة بسليم وتوارى بزاوية المنزل يقذف النار فأصاب الشبح في رأسه وفي كل جزء من جسمه ولكنه لم يهو ولم يصب بأذى.

ودامت الحال على هذا مدة والعيارات النارية تعكر هدوء الليل واستيقظ النيام وفتحت النوافذ وامتلاء المكان بالصراخ وازدحمت الشرفات بالأنام والشبح يسير سيرا حثيثا بدون مبالاة وهو يشهر مسدسه ويطلق النار في كل اتجاه يلمع منه بريق النار وسليم يقفو أثره محتميا بالجدران والأركان ويطلق الرصاص بسرعة متناهية يصيبه بظهره ووجهه دون جدوى وعم الصراخ في كل بيت ومكان.

وأقبل ضابط مع رجاله المدججين بالبنادق وعددهم ستة رجال كانوا يتجولون بين حي الجزيرة والجيزة حسب تعليمات فريد بك فواز فأشار إليهم ضابطهم بالإسراع إلى المحل الصادر منه صوت الرصاص ولما دنوا صاح الضابط بصوت كأنه البوق:

- إنه شبح أحمر أطلقوا النار دون مراجعة.

وصوب رجال البوليس بنادقهم واندفع الرصاص كميزاب المطر المنهمر وأطلقوا عشرات ومئات العيارات النارية والرصاص يمر عنه وقد دب بهم الذعر ودوى الصفير واهتز الشارع اهتزازا مرا، والشبح يتقدم وهو يشهر مسدسه يخرج منه الموت الزؤام فتنحى رجال البوليس يحتمون بالجدران ورصاص بنادقهم ينهال وابلا عليه، فمر في شارع آخر وقفوا اثره يطاردونه وأزيز الرصاص بدوي فانزعج النيام أيما انزعاج، بينما

قـد عـاد سـليم إلى سـميرة التـي كانـت أمهـا وشـقيقها الصغـير ينوحـان عليهـا ويبكيـان فدنـا منهـا وحملهـا عـلى ذراعيـه كأنهـا مـن صـوف وأوفـض إلى عربتـه والأم تلحقـه تنتحـب وتمعـط شـعرها فوضعهـا عـلى المقعـد وسـار ووجهتـه مستشـفى قـصر العينـي.

ومـرت دوريـة بوليـس مؤلفـة مـن ثمانيـة رجـال فانقضـوا كالعقبـان يطلقـون نـيران بنادقهـم وسـدوا الشـارع عـلى الشـبح الـذي كان يسـير غـير مكـترث يسـدد مسدسـه ويطلـق رصاصـه، ودام إطـلاق النـار مـدة وكلـما أمَّ شـارعا قفـوا أثـره كأنهـم المـوت المـبرم يطلقـون رصـاص بنادقهـم باسـتمرار ويصيبونـه في كل مـكان دون أن يصـاب بـأذى لثيابـه الفولاذيـة التـي كان الرصـاص يمـر عنهـا ولا يخترقهـا.

وجـن جنـون الضابـط فانقـض كالأسـد الطريـد عـلى الشـبح وسـدد مسدسـه إلى رأسـه وأفـرغ رصاصـه عـلى هامتـه في الرصـاص عـن رأسـه الفـولاذي إلى هنـا وهنـاك، وظـل الرصـاص يتسـاقط عـلى الشـبح كالمـاء المنهمـر مـدة طويلـة، وقـد امتـلأت النوافـذ والشرفـات بالنـاس ودوت الصرخـات في البيـوت المجـاورة وظـل الحـال عـلى هـذا المنـوال حتـى وصـل الشـبح الفـولاذي الأحمـر منتهـى الشـارع فـأسرع أحـد رجـال البوليـس كالمحمـوم مـن فـرط حماسـته وحميتـه وطعـن الشـح في ظهـره بحربـة البندقيـة فانكـسرت الحريـة مـا انتهـى الجـزء الأول مـن روايـة الأشـباح الحربـة.

انتهى الجزء الأول من رواية الأشباح الحمر

ويليه الجزء الثاني

لقد مثّل النشر عبر العصور أداةً للتمدّد والاحتواء، وهو بذلك استطاع أن يمتلك قُدرة استثنائية على التجدّد والتنوّع في حركته وتحوّلاته التقنية، بدءًا من الإيماءة ومرورًا بالنقش ثم الطباعة على الورق، ليُشكّل بذلك ضوءًا مُتعدّد الطبقات، يَقبضُ بوميضه على أحاسيسنا المتغيّرة بفعل الزّمن.

إن تمدّدًا على هذا النّحو، يمكنه أن يقلّص المسافة، وأن يُجسّد حاجتنا إلى التنقّل عبر المحطات العابرة للتاريخ، بل يُثري تجاربنا في تشكيل القوالب الحيّة لذاكرة لا تغيب.

فتلك التحوّلات التي أنتجتها التكنولوجيا لم تأتِ صدفةً، إنها انبثاقُنا المبتكر نحو خلق الترابط مع الآخر في هذا العالم الوسيع.

ضمن تلك الرؤية، صمّمت وزارة الثقافة مشروعها نحو النشر الرقمي ليقينها بضرورة توسيع نطاق النّشر وإتاحته أمام أكبر عدد ممكن من الباحثين والدارسين والقُرّاء.

وزير الثقافة
عماد عبدالله حمدان